هادي المدرّسي

صور متقابلة عن حضارتين متقابلتين

دار المحجة البيضاء

مكتبة
مؤمن قريش
mooamenquraish.blogspot.com

صور متقابلة
عن
حضارتين متقابلتين

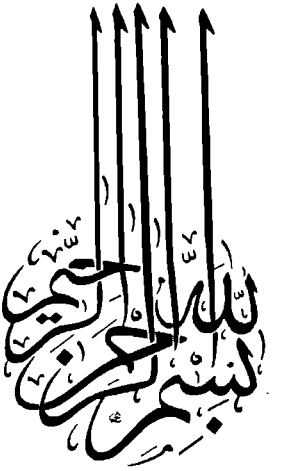
بسم الله الرحمن الرحيم

صور متقابلة
عن
حضارتين متقابلتين

هادي المدرّسي

دار المحجّة البيضاء

© جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م

ISBN: 978-614-426-116-3

الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ ـ هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ ـ ٠١/٥٤١٢١١

تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ ـ E-mail: almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com

دار الحجة البيضاء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾
الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾
اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ
غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾.

صدق الله العلي العظيم

هذا العصر هو
عصر إلغاء الإنسان..

ولكن كيف؟

عن طريق تزييفه، وصنع «البدائل» عنه، للاهتمام بها، دونه!

لقد بدأ عصر، سمّوه عصر العلم. وربّما كانت التسمية في يوم ما صحيحة. ولكن العلم تحوّل من «خادم» إلى «مخدوم»، فأصبح الإنسان «عبداً» مسحوق الوجود أمام بابه..

ها هم يصعدون الواحد بعد الآخر إلى القمر، وها هي رسائل أهل الأرض، وأصوات أهل الأرض، ومناظر أهل الأرض تجوب الآفاق، ولكن أين موقع الإنسان من كل ذلك؟

إنّ الذي جلس على القمر، لم يكن الإنسان، بل

السيّدة «مركبته». وكل التصفيق الذي تلقّاه روّاد الفضاء، كان موجّهاً إلى «الأجهزة العلميّة»، وليس إلى «الرّوح الإنسانيّة»[1].

وإلّا فما بال الألوف يعانون من الجوع، والاضطهاد، والظلم الوقح، ومن انعدام الاعتراف بحقّهم في الوجود في ظلّ الصاروخ، والمراكب المتقدّمة؟

إنّ هذا العصر بدأ بتشويه الإنسان، ويكاد اليوم أن يلغيه تماماً..

المهرجان قائم في كلّ مكان، وما أجمل الاحتفال، ولكن أين الحضور الإنساني؟

الألم، الخوف، الظلم، هم الحاضرون دائماً في الزمان والمكان..

.. وأنت؟

---

(١) هل سمعتم عن قنبلة النترون؟
إنها تلخص فلسفة هذا العصر، وأهميّتها نابعة من أن لها القدرة على تنفيذ هذه الفلسفة، فهي تستطيع القضاء على الوجود الإنساني، في الوقت الذي لا تمس أشياء الإنسان بسوء!
فهي قنبلة إنسانية مع كل شيء ما عدا الإنسان..
وهذا سرّ اهتمام العصر بها!

أين أنت في هذا الوجود؟

إذا كان «العلم» يحميك، فأنت موجود، وإلّا فلا تثقل على نفسك في البحث عن نفسك، لأنك ملغى بالقانون، وبقرار خاص من كل محاكم العالم..

أي علم؟

لا فرق.. علم تكديس الأموال، أو علم صناعة السلاح، أو علم إستعباد الطيبين، أو علم إستغلال الآخرين، أو علم مسح أحذية المترفين!.

«أي علم» في أي مجال هو الحاضر اليوم!.

و«أي إنسان» لا يملك علماً يحميه، ومنصباً يحتله ومالاً يرفع قدره هو الغائب... خاصّة الذين لا يملكون بضاعة ما عدا ضمائرهم التي لا يبيعونها، أي الذين يصرّون على إنسانيّتهم، ويتشبّثون بها إلى حدّ الموت.

كم نحن اليوم بحاجة إلى من يحمينا من العلم؟.

أجدادنا أرادوا أن يحتموا بالعلم تخلّصاً من الجهل. كانوا يقولون: كيف يموت البعض من الناس جوعاً، بينما تقدّس البقرة مثلاً؟

ولكن أي فرق بين أن يموت الناس من الجوع

ليطعموا البقر المقدّس، وبين أن يُحرموا من سدّ حاجاتهم إلى الماء مثلاً بسبب أن البعض يريد الوصول إلى القمر؟ ألسنا اليوم بحاجة إلى من يحمينا من.. العلم..

ولكن ما هو السلاح؟

ليس في الكون كلّه سلاح يمكن أن يقهر وحش العلم ـ حامي حمى الطغيان ـ أمضى من سلاح الضمير، وسلاح الإيمان..

أي قهر يمتلكك عندما ترى أن الإنسان ربح العالم، ولكنّه خسر نفسه؟

قد تقول:

ـ لا.. لا.. ليست الصورة قاتمة بهذا الشكل!.

وأنا، لن أدعوك إلى أكثر من تصفّح الجرائد، والمجلّات، ومطالعة ما يجري على الشاشة الصغيرة في فترات الأخبار..

هل ترى أي حضور للإنسان؟

رحمه الله!.

لقد قتلوه، وكان هو الضاحك الوحيد في مأتمه. فقد كان القتل ذهبيّاً، جرى في جوّ منعش، وفي حالة تخدير أشعرته باللذّة، وتحت أضواء كشافة جميلة.

هل سمعتم بالطريقة اللذيذة التي كان يتبعها اليابانيّون، في أيّام زمان، لقتل المحكوم عليهم بالموت من أولاد الأمراء والأشراف؟

كانوا يجلسونهم على كراسي مرتفعة، ويشدّونهم بها، ثم يبدأون بفرك أسفل أقدامهم، بواسطة رياش ناعمة جدّاً، فكان المحكوم عليه بالموت، يضحك، ويضحك، ويضحك.. حتى يموت!

هكذا يجري قتل الإنسان اليوم، بالمهرجانات، بنوادي العراة، بالرقص، بالأفلام، بالجنس، باللّهو، وبكل ما هو لذيذ!.

أو يجري مسخه، وتحويله إلى حيوان مستهلك، أو حيوان قاتل، أو حيوان كاسر.. لا فرق!.

حتى ليبدو لك العالم اليوم، وكأنه «غابة الحيوان الحضاري» الذي استبدل الأنياب بالقنابل النووية، والمخالب بالصواريخ.. إلخ.

هل كانت صورة الإنسان هكذا دائماً؟

طبعاً.. لا.

فهناك صورة الإنسان الفقير.. إلّا من الضمير!.

الضعيف.. إلّا أمام الباطل!.

الحنون.. إلّا مع الطغاة!.

المقاتل.. إلّا ضدّ العدل!.

المحبّ.. إلّا للحرمان!.

وفي عصر اللصوصيّة، والعنصريّة، والظلم، والقتل، والإجرام هل يصدق الناس أن الصورة المعاكسة كانت ـ في يوم مّا ـ للإنسان حقّاً؟

١٩٧٧/٨/٢ م

الجريمة والعنف في كل مكان

و٤٠٠ عام لم يعرف المسلمون جريمة سرقة!

دقّت الساعة، وفجأة إنقرضت الحضارة، وابتلع الظلام إنسانية الإنسان، فقد انبثقت ألسنة اللهب في أرجاء المدينة التي تحوّلت إلى غابة تتراقص النيران فيها ملتهمة المكتبات، والمعابد، والمنازل والمدارس والمحلّات التجارية وكل ما تجده في طريقها.

كانت طفلة وحيدة في عرض الشارع تبكي وهي تنتفض بين يدي الشرطي وتصرخ:

ـ لم أسرق.. لم أسرق.. فقط أخذت لعبة.

وكان رجل مسن يصيح:

ـ لم أسرق.. لم أسرق.. أخذت علبة سردين.

وتفجّرت مأساة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الحضارة المعاصرة، العملاق الذي ابتكره الإنسان بدأ يدمّر

الحضارة: الكهرباء إنقطعت في مدينة نيويورك، هكذا فجأة.. وبدأت المأساة.

حضارتهم..

الزمان: ليلة ١٤ ـ يوليو ـ ١٩٧٧، أي قبل نهاية القرن العشرين بـ ٢٣ عاماً فقط.

المكان: مدينة نيويورك، مدينة تمثال الحريّة، ومدينة المال والذهب والبورصة، والشركات الكبرى التي تتحكم في اقتصاد العالم وصناعته. مدينة ناطحات السحاب التي تعلو ١١٠ طوابق. ومدينة «جمعيات أصدقاء الكلاب»، التي تهتم برفاهيّة هذا الحيوان، وتدافع عنها. ومدينة «أصدقاء العصافير» الذين يتعقّبون أعشاش كل عصفور بالنظارات الزجاجية المعظمة، ويعطفون عليها، ومدينة «الأمم المتحدة» حيث يفترض فيها أن تكون مصدراً للعدل والأمن لدول العالم.

الحادثة:

صواعق جوّية تضرب محطة توليد الطاقة الكهربائية التي تعمل بالطاقة النووية في «أنديان بونيت» و«رامبو» في

ضاحية «روكلان»، وبذلك ينقطع التيار الكهربائي، وتغرق نيويورك في الظلام.

وفجأة تتحوّل نيويورك إلى مدينة للأشباح، واللصوص، والنهب والسلب والرعب، بعد أن انطلق الألوف من سكان المدينة ينهبون، ويكسرون، ويحرقون.

وتمضي ليلة، يعيش فيها الناس ـ كما وصفت إحدى ساكنات حي برونس ـ «ليلة الحيوانات» بعد أن تحوّلت الشوارع إلى ساحات حرب حقيقية بين الشرطة ـ الذين أُستدعوا جميعاً حتى الذين كانوا في إجازة ـ وبين جماعات السلب والنهب.

والذين اشتركوا في السرقة، كما تبيّن، كانوا ينتمون إلى مختلف الأعمار، ومختلف الطبقات الاجتماعية. فحتى الآباء، والأمّهات، وكبار السن اشتركوا في هذه العمليات. وكان أحدهم يصرخ: «لم تسنح لنا مثل هذه الفرصة منذ وقت طويل»!.

الناهبون يركضون في الشوارع حاملين الملابس، وزجاجات الويسكي، والعطور وكل ما يمكن تخيّله، من أجهزة التلفزيون إلى الأواني المنزلية. بعض الأطفال الصغار قُتلوا عندما اجتاحتهم الأقدام المستعجلة الهاربة.

صاحب محل ويسكي قال: «سرقوا حتى زجاجات الويسكي المعروضة في الواجهات.. إنها زجاجات فارغة ملونة فقط».

ما جرى لا يمكن وصفه في أسطر.. أو في كتاب.. فكل شخص من سكان مدينة نيويورك عاش تجربة مريرة لا يمكن أن تنسى.

الشرطة واللصوص:

أصوات تحطّم زجاج المحلّات التجارية الكبرى في نيويورك كانت تسمع في كل مكان، وتلقي الذعر في القلوب.. رجال الشرطة الذين تمكّنوا من الوصول إلى مناطق الرعب ارتدوا ملابس «سميكة» وإعتقلوا حوالي ٣٠٠٠ شخص من اللصوص في عدة ساعات.

ولكن معظم السرقات حدثت في منطقة حي «مانهاتن» حيث كان أصحاب المحلّات يقفون عاجزين دون أن يتمكّنوا من منع اللصوص من نهب كل ما يستطيعون حمله من محلّاتهم.

في بروفكس، تبخّرت ٥٠ سيارة خلال عدة لحظات من صالة عرض.

في هارلم، ركض صبي عمره ١٠ سنوات عبر شارع ١٢٥، يحمل على كتفه دراجة. وركضت فتاة عمرها ٩ سنوات مسافة طويلة، وهي تحمل ملابس داخلية.

في هذه الأثناء ظهرت مشكلة جديدة وهي أين يتم وضع اللصوص، ولذلك فتحت منطقة المقابر في آخر مانهاتن، وتم حصار اللصوص فيها.

هذا ولبت المصارف، والمحلّات التجارية، والمؤسسات المالية طلب «إبراهام بيم» محافظ نيويورك، وأغلقت أبوابها في اليوم التالي، ولكن كما قال أحدهم: «ما الفائدة.. الخسائر خيالية للغاية، ولا يمكن لأحد تقديرها».

الشمس أظهرت الحقيقة:

لم تكد أشعة الشمس تلامس ناطحات السحاب فجر اليوم التالي، حتى بدأ جو من الحرّ يسيطر على المدينة.

وبدأ السكان يشاهدون بهلع سحب الدخان وألسنة النيران تمتد في السماء. مندفعة دون توقف، وخاصة من منطقة الأحياء الفقيرة المعدمة.. حيث تم حرق معظم المحلّات.

وللحرائق سبب، فكان اللصوص يضرمون النار بعد السرقة لإبعاد البوليس عنهم، وقد أدّت الحرائق بالفعل إلى تأخّر وصول رجال الشرطة إلى أماكن عديدة من المدينة.

وفي الظهيرة، ظهر طفل على شاشة التلفزيون يقول مفتخراً أنه أحرق منـزلاً برمته، وأن المنظر أعجبه تماماً.. وأضاف: إنما فعلت ذلك حتى يعيش سكان البنايات كما أعيش مع أهلي، دون مأوى.

في المحكمة، استغرب معظم المعتقلين إتهامهم بالسرقة، فقد قالوا: لماذا نحن لصوص.. أبداً.. سرقنا لنأكل.. إننا نريد أن نأكل فقط.

طفلة أقسمت أنها لم تأخذ إلّا سندويشة، كانت تشتهيها كل يوم.

كانت نيويورك، باستمرار مدينة المستقبل، إلّا أنها عادت وكشفت الواقع المرير: مدينة يعيش سكانها بنفسيّة سكان القرون الوسطى المظلمة.

النتائج:

ليس بالإمكان حصر كل ما جرى خلال ساعات الليل في نيويورك.. ولكن كانت بعض النتائج كالتالي:

- بلغت مجموعة الخسائر ألف مليون دولار، منها مئات الملايين من المسروقات..
- أصيب ٨٠ شرطياً بإصابات مختلفة من قبل اللصوص.
- اعتقلت الشرطة ٣٤٨١ شخصاً بتهمة الاشتراك بأعمال السرقة.
- ١٤٥ سجيناً تمرّدوا في سجن بروفكس، وحاولوا الهرب.
- هرب ٨ سجناء من جزيرة «ريكيرز».
- جرح ٢٦ أطفائياً أثناء مكافحة الحرائق.
- دائرة الإطفاء سجلت ٢٣٧٢ إنذار بالحريق، منها ٩٠٠ حريق عادي و٥٥ حريقاً ضخماً.

كل ذلك مع أن التيار الكهربائي لم ينقطع إلّا لمدة ٢٥ ساعة فقط!

حضارتنا:

تلك كانت صور من حضارة التكنولوجيا، والكمبيوتر، والأقمار الصناعية.. حضارة «ما لقيصر، لقيصر.. وما لله، لله»!.

وفي مقابلها صورة من حضارة الإيمان، والضمير، والتقوى.. حضارة «ما لقيصر، لله.. وما لله، للناس جميعاً»، وحضارة: «إنا لله وإنا إليه راجعون»! وحضارة: «الخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله».

فما هي تلك الصورة؟.

الزمان: من بداية عام ٥٨٠ م حتى نهاية عام ٩٨٠ م.

المكان: كل المدن الواقعة بين ليبيا وأواسط آسيا الوسطى.

الحادثة: ظهور الإسلام.

وفجأة تحوّل أولئك البدو، الذين كانوا يعيشون على الغزو والسرقة والنهب، إلى أناس مؤمنين.. كانت المرأة تضع على رأسها الذهب وتمشي وحدها في الصحراء، فلا ينظر إليها أحد بطمع.

وتحوّلت المدن والقرى إلى مناطق آمنة لا أثر فيها للجريمة.. حتى مرت أربعة قرون ـ من ٥٨٠ ـ م إلى ٩٨٠م ـ من دون أن تقع في طول البلاد الإسلامية وعرضها حادثة سرقة واحدة، يحتاج فيها القضاء على إنزال العقوبة بحق السارق، حتى نسي العلماء حد القطع.

ولما ضبط أول «لص» بعد هذه المدة الطويلة تحيّر الخليفة من أين يقطع يده؟

واختلف العلماء، فمنهم من قال: تقطع من الكتف.. ومنهم من قال: تقطع من الزند.. ومنهم من قال: تقطع من المرفق.. وكان الرأي الذي أخذ به في النهاية، قول الإمام الجواد عليه السلام: إنها تقطع من الأصابع فقط، مستنداً إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾[1]، حيث إن الكف توضع على التراب في حالة السجدة، فلا يجب قطعها!.

والسؤال الآن هو: ما هي أسباب بروز «العنف الإجرامي» في بلاد تتمتّع بأحدث وسائل المراقبة، والمحاسبة، ويحمل حتى «الكنّاس» شهادة جامعية؟

والجواب:

إن «حضارتهم» بلا جذور أخلاقية، فهي حضارة لا ضمير لها. كل شيء قائم على الربح المتبادل، و«ربّحني حتى أربحك»، ومن هنا فلا وجود للعدل ولا الإحسان، ولا الصدق، ولا الإخلاص في علاقاتهم الاجتماعية.

لقد قامت حضارتهم على أساسين:

---

(١) سورة الجن، الآية: ١٨.

١ ـ العلم

٢ ـ والإستعمار

فالنزعة العلمية، عندهم، كانت متداخلة مع النزعة الاستعمارية، وكما أن الاستعمار يضر بالشعوب المستعمرة، كذلك فإنه يضر بالمستعمِرين أنفسهم، حيث تسلبهم الأخلاق..

إنهم تعوّدوا على السرقة، وحين لم يجدوا من يسرقوه، سرقوا أنفسهم!

إنّ الضمير تخلف في نموه عن العلم والصناعة، ومن هنا برزت أمراض اجتماعية كلّها تؤدّي بشكل طبيعي إلى بروز الجريمة والعنف.

ولذلك فإن الجريمة والعنف يزدادان في الدول التي كانت لديها مستعمرات، وكلما كان لدولة مّا تاريخ أعرق من إحتلال بلاد الاخرين، كان نصيبها من الجريمة أكثر من غيرها.. مثل فرنسا، وإيطاليا، وبريطانيا، وأمريكا..

ولنستمع إلى «جاك ليوته» في تحديد أسباب الجريمة، يقول: «من الأسباب الرئيسية وجود الظلم الاجتماعي»، ويضرب مثلاً على ذلك بقوله: «ذات يوم جرت في

الشانزيليزيه تظاهرة ضد حكومة الجنرال فرانكو، بسبب إصدارها حكماً بإعدام بعض الثوّار الباسكيين، ولكن منطقة الشانزليزيه عرفت ليلة من أشد لياليها عنفاً وإرهاباً، فحُطمت الواجهات الزجاجية، وسُرقت المتاجر وأحرقت السيارات.

لماذا؟ لأن فئات من الناقمين وجدت في تلك التظاهرة فرصة وستاراً لتبرهن عن حقدها ضد نظام الاستهلاك: فالشانزيليزيه في نظر تلك الفئات مرافق للغنى والرفاهيّة، ورمز للرخاء الرأسمالي، وبما أنها تعتبر نفسها منبوذة من المجتمع الاستهلاكي عمدت إلى الانتقام منه، وفي يقينها أنها تحتل «أرضاً» تعود إلى المعسكر الآخر، بالاستحواذ على غنائم الحرب، وبتدمير مّا حرمها المجتمع الاستهلاكي من إمتيازات يستأثر بها الأغنياء فقط. كما نجد ما يشبه ذلك عندما يقتحم اللصوص منـزلاً خالياً من أصحابه، ولا يجدون ما يسرقونه فينتقمون بتحطيم اللوحات الفنية المعلقة على الجدران، وبتمزيق المقاعد وتوسيخ المكان.

وهناك أسباب سياسية معروفة، كالخلاف بين اليمين واليسار، والخلاف بين الزعماء السياسيين ضمن المعسكر الواحد، وبروز هذه الخلافات وتعميمها بواسطة أجهزة الإعلام المختلفة، مع ما فيها من تحديات وتهجّمات.

وهناك أسباب اجتماعية، فإذا كانت ضواحي العاصمة الفرنسية قد ضربت الرقم القياسي في عدد الجرائم، وإذا كانت المدن الكبرى أكثر خطراً من المدن المتوسطة أو الصغيرة، فذلك لأن الظروف السكنية فيها بالغة السوء إلى حد بعيد. فنحن أسرى ظروف الحياة العصرية، وهذه المدن توفّر مادّياً ونفسياً كل أسباب الجريمة. فالأحداث، الذين يزودون جيش الإجرام بعناصر جديدة، نراهم في غالبيتهم متروكين في هذه المدن لأنفسهم. وإذا كانت الأبنية حديثة وصحّية أكثر من أكواخ الأمس، إلّا أنها تعاني من حالة الازدحام الشديد، وهي معرضة في شكل عام للضجيج. بالإضافة إلى أنه في كثير من المناطق السكنية المحيطة بالمدن الكبرى نجد الأطفال والأحداث يلعبون ويمارسون هواياتهم في الطبقات السفلى.

كما أن ظروف الحياة العائلية من شأنها أن تنمي الميل إلى العنف عند الأطفال. فالميل إلى التدمير والأذى والسلبية يتوفر بكثرة لدى الأطفال الذين تسكن أسرهم في مساكن ضيّقة، وتعيش يومها دون دخل كاف، ودون مواعيد منتظمة لوجبات الطعام وللعمل والاستراحة والنوم.

ويغدو الأمر أكثر خطورة عندما ينعدم التماسك داخل العائلة، وتتكرّر الخلافات والمشاحنات بين الزوجين.

ومن الأسباب المؤدّية إلى العنف هناك أيضاً فقدان المساواة بين الفئات الاجتماعية، سياسياً، واجتماعياً، واقتصادياً».

تلك هي الأسباب التي يذكرها جاك ليونيه، وهي كلها نتيجة فقدان «الضمير».. وبما أن العلاج الذي يبحثون عنه هناك لا يحاول أن يقضي على السبب الرئيسي، فإنهم يفشلون..

إن «القانون» و«شرطة الآداب» و«البوليس المسلّح» و«الرادار» و«المراقبة التلفزيونية» تبقى عديمة الفائدة إن لم يكن هناك «إيمان» و«تقوى» و«الاعتقاد بالغيب».

من هنا كانت الجريمة عندهم جزءًا لا يتجزّأ من الحياة.. وكانت في تاريخنا خبراً من الأخبار..

تُرى، أية نزعة أخلاقية في حضارتنا هذه التي تحوّل الحقد والكراهية والأنانية وحبّ الشهوات، إلى حبّ وتسامح وبناء وتعاون!.

وأية نزعة حيوانية في حضارتهم تحوّل الإنسان إلى «لص» و«مجرم» و«قاتل» في سبيل المال والجنس والشهوات؟!

وماذا تنفع بناية من ١١٠ طوابق، إذا لم يأمن سكانها من الجريمة في أية لحظة؟

وماذا يضرّ الذي يسكن في كوخ، إذا كان يعيش في أجواء الحب والصدق والتعاون والإخلاص؟

إنّ الكهرباء لا تغيّر الإنسان، والأبنية العملاقة لا تهبه السعادة، والأخلاق أساس من أسس الحياة. . فإذا فقدت الحضارة البنية الأخلاقيّة فلن تكون حضارة إنسانيّة، مهما كان تقدّمها العلمي، والصناعي.

العنصرية مشكلة العصر

ويمين الله في أرضه: سوداء

حضارتهم:

ليس للأسود أي دخل في اختيار لونه، فهو يولد من أبوين زنجيين، فيكون هو أيضاً زنجياً.. فليس اللون «منقصة» له. كما ليس للأبيض أي دخل في اختيار لونه، فهو يولد من أبوين أبيضين، فليس اللون الأبيض «إمتيازاً» له. ومن ثم فلا يجوز التمييز على أساس اللون والعِرق.

ولكن..

في حضارة المظاهر، والديكور، والعِرق، واللون، نجد أن الزنجي يعتبر مجرماً بسبب لونه..

جنوب افريقيا:

هذه جنوب أفريقيا، حيث تنتشر مناجم (الألماس)

يأتيها بضع مئات من البيض، فيحكمون الزنوج بالحديد والنار، ويضطهدون الناس ويظلمونهم، ويسرقون بلادهم، لا لشيء إلّا للون بشرتهم!.

فالأبيض هو «السيّد» حتى وإن كان متخلّفاً. و«الأسود» هو العبد حتى وإن كان عالماً من علماء الذرّة.

هكذا كان الأمر لحقبة طويلة أيام حكومة البيض، حيث كان للبيض وضع خاص متميز في كل شيء، ولهم قدسيّة خاصّة لا يجوز مسّها. فالطريق الذي يمشي فيه الأبيض لا يجوز أن يسير فيه الأسود بأية حال. وحين يضطر البيض إلى تشغيل العمّال السود ـ لرخص أجورهم ـ يجب عليهم بمجرّد الانتهاء من العمل أن يهبطوا من مزارع البيض إلى أكواخهم، أو مساكنهم في المناطق المنخفضة بعيداً عن مساكن البيض!

وللبيض مداخل خاصّة في الوزارات والدوائر الحكوميّة، ولهم مقاعد خاصّة من «الكوشن» في الباصات، بينما للسود مقاعد من الخشب.

وفي المقاهي، والمسابح، والحدائق كانت للبيض امتيازاتهم الخاصة، والقانونية.

ففي جوهانسبورغ مثلاً؛ التي تعتبر من أغنى المدن في العالم، لم تكن تسري نظم التفرقة العنصرية في السيارات العامة، والأوتوبيسات، والمطاعم، والمسارح، والمستشفيات فحسب، بل إن المباني العامة كانت فيها أبواب ومصاعد خاصة بالبيض وأخرى للسود.

وفي الشواطئ العامّة كانت توجد دائماً مساحة قدرها ٥٠٠ متر تعزل بين المستحمين من الأجناس المختلفة.

يقول أحد شعراء جنوب أفريقيا:

«إن كنت ذا لونٍ أبيض، فأنت إنسان مثالي. وإن كنت ملوناً فإن قبولك ممكن»

«أمّا إن كنت أسود، فاذهب، إذهب»!

وتدل لفظة «الأبيض» على السكان الذين هم من أصل أوروبي، وبنوع خاص أولئك الذين يتحدّرون من أصل هولندي. وتشير لفظة «الملوّن» إلى السكان الذين ينحدرون من أصل آسيوي، وإلى المولودين نتيجة الاختلاط بين أوروبيين وأفريقيين، وتشير لفظة «الأسود» إلى السكان الذين هم من أصل أفريقي..

وفي برنامج تقسيم الأجناس كان يرتب الشخص حسب مظهره، والجنس الذي ينتمي إليه. وهكذا أدرج بعض الأشخاص الذين ليسوا من أصل أبيض تماماً ضمن العنصر الأبيض، وفي بعض الحالات الأخرى حط التقسيم من كرامة بعض الأشخاص الذين عرفوا على أنهم من البيض، فأنزلهم إلى مرتبة الأجناس الأخرى..

وإذا نقل أحدهم من قائمة البيض إلى قائمة الملونين، وجب عليه الانتقال فوراً من الحي الذي يقطنه البيض، ولا يعود باستطاعته الزواج من امرأة بيضاء، كما كان يجب عليه أن يرسل أطفاله إلى مدرسة ليست مخصصة للبيض.. وإذا نقل أحدهم من قائمة الملونين إلى قائمة السود، وجب عليه أن ينتقل إلى حيّ الزنوج، وإلحاق أطفاله بمدارس القبائل، وأن يحصل على جواز المرور.

فما هو جواز المرور؟

كان القانون ينص هناك، على أن يحمل كل أفريقي «جواز مرور» يجب أن يكون مدوّناً فيه تصريح خاص للإقامة في أحياء الزنوج حول جوهانسبورغ، وتصريحاً آخر منفصلاً لدخول المدينة للعمل، وثالثاً يخول له حق البقاء في المدينة ليلاً.

وقد فرض هذا الجواز، الذي كان يلاحق الأفريقي من المهد إلى اللحد، كي لا يرتاد الأماكن التي يرتادها الأبيض. وللحصول على هذا الجواز كان الأفريقي يلاقي صعوبات جمّة..

إنّ جنوب أفريقيا في زمن الفصل العنصري يمثّل لطخة عار سوداء على جبين الحضارة المادية الحديثة، وليست «غلطة عنصرية» بيضاء في منطقة بعيدة.

ذلك لأن جنوب أفريقيا هي وليدة هذه الحضارة، وكانت «محمية» من قبل العالم الغربي.

ولا يجوز لنا أن نعتبر حملات الصحف ضد الوضع القائم آنذاك دليلاً على شيء. فالغرب بقوّته، وأساطيله كان يقف خلف النظام العنصري هناك، لسبب بسيط هو أن مصالحه كانت قائمة على أساس هذا الوضع..

إن رئيس جنوب أفريقيا الأبيض كان مجرّد «سارق» قانوني بالنيابة عن الغرب. ولكنّه كان مكشوفاً للعالم، فكان «مدان» من قبل البعض. أما الذين بأيديهم الحل والعقد، في العالم الغربي فكانوا مع هذا السارق حتى صناعة القنبلة الذريّة.

فالثروات المعدنية الهائلة التي تملكها جنوب أفريقيا كانت تجعل لعاب الغرب يسيل.

فقد ذكرت مجلة «يو.أس.نيوز اند ورلد ريبورت» الأمريكية أن جنوب أفريقيا تنتج ٩٥٪ من ذهب القارة الأفريقية، و٩٢٪ من الفحم الحجري، و٩١٪ من الفناديوم، و٨٨٪ من الأنتيمون، و٨٧٪ من الفولاذ، و٨١٪ من الصوف، و٦٧٪ من الكروم، و٦٢٪ من اليورانيوم، و٥٠٪ من النيكل. وكانوا يبرّرون الفصل العنصري هذا بأنه إذا اندثر النظام العنصري، اندثرت معه الثروات الهائلة التي تستغلها بضع دول غريبة، وفي طليعتها الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وألمانيا.

وكانت حكومة جنوب أفريقيا قد امتلكت قنابل ذرية، وكانت تصدّر اليورانيوم بمعدل ألف طن سنوياً إلى فرنسا وتشغل مفاعلين نوويين قوة كل منهما ٩٢٥ ميغاواط، وكل ما تحتاجه هو وقود اليورانيوم المخصب الذي كانت قد حصلت عليه سابقاً.

وحتى لو لم تكن تملك تلك القنابل فإنّ مجرّد صدور «إشاعة» عنها كانت تعكس القدرة العسكرية لهذه الدولة التي زوّدها الغرب بما قيمته ٦٠٠ مليون جنيه استرليني من

السلاح بين عام ٦٣ ـ ١٩٧٥ لتكون حارسة خطوطه البحرية وأهدافه الاستراتيجية في المنطقة، هذا على الرغم من قرارات المقاطعة التي وافقت عليها الأمم المتحدة منذ عام ١٩٦٣ وصدقتها الدول الغربية نفسها، بما فيها أمريكا وبريطانيا وفرنسا.

روديسيا:

وفي روديسيا، حيث كان يتحكّم ٩٠ ألف أبيض في مصير ٦ ملايين أسود كانت الحالة نفسها، إن لم تكن أشد من ذلك.

وإليك مثالاً على ذلك:

لقد وقف ـ في لندن ـ الضابط «جوردون وود» وهو ضابط سابق في جيش روديسيا البيضاء، ليعلن للصحفيين: أنه، وبأوامر «أيان سميث» رئيس الوزراء الأبيض آنذاك، قد قتل أفريقيين مدنيين غير مسلحين ودون ذنب ولا جريرة..

وقال حرفياً:

«في روديسيا قاعدة التعامل بين الأبيض والأسود، هو: «أيها الأبيض، أقتل الأسود أولاً، ثم إسأل لماذا كان يسير، أو يقف هنا»!.

وقال:

«إنه كثيراً ما قتل أفريقيين ـ مع زملائه ـ ثم قطّعوا أبدانهم، وأطعموها للتماسيح، مع أن أحداً منهم لم يكن يحمل سلاحاً..».

وذكر «وود» وصفاً لمعسكر التحقيق عند جبل داروين، حيث أبدع أبشع فنون التعذيب يمارسها الرجل الأبيض مع الرجل الأسود، على أرضه وفي وطنه وبين قومه.

وعرض «جوردون وود» صوراً لتلال من الأصابع والآذان والأنوف والعورات البشرية.. وكأنما حكم أيان إسميث، لم ير غراباً يدفن موتاه، ويواري سوأة أخيه.

والغريب أن ذلك النظام كان يجد عطفاً من الحضارة الغربية إن لم نقل رعاية كاملة.. ويوفد لنجدته عشرات المتطوّعين من أجل الحفاظ عليه، وقتل السود!

أمريكا.. تظلم الزنوج أيضاً:

في أمريكا، لا تزال مظاهر اضطهاد الزنوج كثيرة.

ففي القضايا الثقافية: لا يسمح في عشرين ولاية من الولايات المتحدة الأمريكية للزنوج أن يتعلّموا في مدرسة

واحدة مع البيض. وتنص الفقرة ٢٠٧ من دستور ولاية «ميسيسيبي» على ما يلي:

«يراعى في هذا الحقل ـ حقل التربية والتعليم ـ أن يفصل أطفال البيض عن أطفال الزنوج، فتكون لكل فريق مدارسه الخاصّة».

وفي ولاية «فلوريدا» تقضي قوانينها بأن تفصل الكتب المدرسية الخاصة بالطلّاب الزنوج، في معزل عن الكتب الخاصّة بالطلّاب البيض!

وفي القضايا الحياتية: يمنع في أكثر الولايات زواج امرأة بيضاء من زنجي، أو زواج رجل أبيض بامرأة زنجية. وتنص دساتير بعض الولايات كولاية «ميسيسيبي» على بطلان مثل هذا الزواج، بل على بطلان زواج أبيض بشخص يكون ثُمن (٨/١) الدم الذي يجري في عروقه دم زنجي!!

وفي قضايا العمل: تقضي قوانين بعض الولايات بأنه لا يسمح للعمّال الزنوج أن يقيموا مع العمّال البيض في مكان واحد في المصانع، ولا يجوز للزنوج أن يدخلوا أو يخرجوا من الأبواب التي يدخل منها البيض ويخرجون!

وفي قضايا الشؤون الاجتماعية: تقضي قوانين أربع

عشرة ولاية بعزل الركاب السود عن الركاب البيض في القطارات، وتفرض إقامة عربات خاصّة للسود في القطارات، والأتوبيس، وغرف الهاتف، وفي المستشفيات، حتى في مستشفيات الأمراض العصبية يفرّق بين «المجنون الأبيض» و«المجنون الأسود»!.

وحتى الكنائس يجري فيها التمييز العنصري، فقد دخل زنجي من جمهورية «بناما» كنيسة كاثوليكية في واشنطن، وفيما كان مستغرقاً في دعائه، سعى إليه أحد القساوية، وقدم له قصاصة ورق قد كتب فيها عنوان «كنيسة زنجية» كاثوليكية! وحين سُئل القس عن سرّ هذا التصرّف، أجاب:

«في المدينة كنائس خاصّة بالكاثوليك الزنوج، فلماذا يأتون إلى هنا؟».

هذا كلّه مع العلم أن أكثر من ١٠٪ من سكان الولايات المتحدة هم من الزنوج، أي أكثر من ٢٣ مليون إنسان.

ورغم تعاقب حكومات مختلفة، فإن الفقر والحرمان الذي يعاني منهما الزنوج بقيا على حالهما، مع أن كل الرؤساء كانوا يخطبون ودّهم، ويعدونهم بانصافهم فور وصولهم إلى البيت الأبيض.

حتى الرئيس الأمريكي «كارتر» الذي فاز بسبب تأييد الزنوج له، لم يعاملهم المعاملة الموعودة. فقد اتهم في شهر ٨/ ١٩٧٧ «فيرتون» رئيس رابطة الريفيين Ycaguc، وهي أقوى منظمة زنجية في الولايات المتحدة، وصديق شخصي للرئيس كارتر، اتّهم الحكومة الأمريكية بعدم اتّخاذ الإجراءات الكفيلة بإيجاد حل لمشكلة الفقر المؤلم الذي يعاني منه الزنوج..

والإحصاءات المختلفة تؤيد وجهة نظر فيرتون.

فمع أن عدد السود الحاصلين على وظائف عامة قد تضاعف منذ عام ١٩٦٤، إلّا أنهم لا يشكّلون أكثر من نسبة اثنين بالمائة، في حين أن المواطنين السود يشكّلون أكثر من ١٢ بالمائة من عدد السكان.

ففي أكثر من ٤٥ مدينة يشكل السود غالبية سكانها، ولا يوجد أي منهم في مركز مهم، وفي المجالس الشعبية للولايات الخمسين لا يوجد سوى عدد قليل من السود.

ويرى بلير أن الفرق في المدخول بين الأفراد السود والبيض قد تزايد في السنوات العشرة الأخيرة. وبينما انخفض عدد الفقراء البيض بمقدار ٦٠٠ر٠٠٠ شخص،

ازداد عدد الفقراء من السود بشكل مخيف! وأما البطالة فقد ازدادت بين السود بمقدار ١٣ر٢ بالمائة، وهذا يعني ضعفي نسبة العاطلين من البيض. وتنتشر البطالة بين الشبّان السود بشكل خاص، وتتجاوز الأربعين بالمائة.

وقد تضاعفت نسبة الانتحار بين صفوف الشباب السود الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥ ـ ٢٤ سنة منذ عام ١٩٦٠، وقد تضاعفت هذه النسبة ثلاث مرّات بين صفوف النساء.

ويقل متوسّط عمر الإنسان الأسود في أمريكا بست سنوات عن معدل عمر الإنسان الأبيض، مع العلم بأن نسبة الوفيات بين الأمّهات والرضّع السود تبلغ ثلاثة أضعاف مثيلتها عند البيض.

بريطانيا:

خلال الشهر الثامن (١٩٧٧) وقعت في بريطانيا ثلاث حوادث عنف ضد الزنوج، مما دعا أحد زوّار العاصمة البريطانية أن يعلق على هذه الأحداث العنصرية بأن بريطانيا تغيّرت كثيراً، فهذه الدولة التي بقيت لوقت طويل رمزاً للحريات المدنية، شهدت اضطرابات عنصرية كبيرة.

وانفجر الموقف في حي لويشهام وهو حيٌّ تقطنه نسبة كبيرة من الملوّنين. وبدأت أعمال العنف عندما قامت الجبهة الوطنية بمظاهرة كبيرة في الحيّ، للمطالبة بطرد العمّال الأجانب من بريطانيا، ودارت معارك كبيرة بينهم وبين الذين نظّموا مظاهرة مضادّة، وتدخّل البوليس لصالح البيض بالطبع!

وقد أجرى معهد «جالوب» استفتاء إتفق فيه ٦٠٪ ممن شملهم، على أن المستقبل يحمل إحتمال صراعات عنصرية، أي أن هذه الحوادث هي بداية، وليست نهاية!

ويقول المحلّلون: لا شك أن نبذ المجتمع الأبيض لمعظم شباب السود في بريطانيا، يفجر مشكلة خطيرة، وهي حقاً المشكلة الأساسية في العلاقات العنصرية.

ويقول كليفتون روبنسون، نائب رئيس لجنة المساواة العنصرية، (من مواليد جامايكا): إذا لم تستطع بريطانيا أن تجد مخرجاً لمشكلة الشباب الأسود فقل على المستقبل السلام!

إنّ معدل البطالة بين الشباب الأسود ترتفع بشكل متزايد، وفي رأي هؤلاء الشباب أن المجتمع الذي يسيطر عليه البيض لا يقدّم لهم إلّا مكاناً واحداً.. وهو القاع!

وهذا الإحساس بالإحباط إنفجر في حوادث عنف مجنونة في عدّة مناطق، كان بطلها الرئيسي صغار الشباب الأسود، وأسفرت عن إصابة ٢٥ شخصاً على أقل تقدير.

فالإنكليز الذين كانوا التجّار الذين باعوا الأفريقيين عبيداً للأمريكان، لكي يعملوا في مزارع القطن في مستوى يقل عن مستوى الحيوان، لم يتخلّوا مطلقاً عن نفسيّة هذا التاجر في النظرة الخاصّة للسود. فالصراع بين اللونين الأبيض والأسود هو صراع قائم، وقد انسحب هذا الصراع حتى ضد الباكستانيين وذلك لتقارب اللونين. وليست الهجمة ضد الباكستانيين والصوماليين في بريطانيا إلّا نتيجة هذا الصراع!.

حضارتنا:

تلك صورة في حضارة الإسمنت والحديد..

وفي مقابلها صورة من حضارة العدل والإحسان..

كان الإسلام صريحاً حينما قرّر أن الإنسانية «وحدة متكاملة» لا تتجزّأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾[1].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١.

فالأصل البشري لأبناء آدم قاطبة هو أصل واحد، كما يقول النبيّ ﷺ: «**إنّ ربكم واحد، وإن أباكم واحد. كلّكم من آدم، وآدم من تراب**».

وما الإختلاف في الأجناس والبلدان إلّا هو طريق إلى التعاون والتعارف والتلاقي على الخير: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[1].

وليست المساواة، وعدم التمايز، مجرّد نصوص قانونية في الإسلام، بل هي أيضاً تربية تتجلّى في كل واجبات الإسلام..

فالمسلمون في صفوف صلاة الجماعة يقفون صفّاً واحداً، لا تمييز أمام الخالق بين كبير وصغير، وعبد وسيّد، وأبيض وأسود، ورئيس ومرؤوس.

وفي الصوم يجوع الناس جوعاً واحداً، لا يفرق من بينهم غني وفقير، وشريف ووضيع.

وفي الحج يلبس الناس لباساً واحداً، ويقفون موقفاً

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

واحداً، ويؤدّون منسكاً واحداً، لا تمييز بين قوي وضعيف، ولا بين قاصٍ ودان، ولا بين أسود وأبيض..

.. أمّا مسألة اللون والعرق، والحسب والنسب، فليست واردة في الإسلام إطلاقاً، فواقع الإنسان وعمله ومواقفه الإنسانية هي التي تميّزه عن غيره، وليس لونه، وحسبه ونسبه.

يقول الرسول الأعظم ﷺ:

«لا فضل لعربي على عجمي، ولا عجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر، إلّا بالتقوى».

ويقول ﷺ: **«ليس منّا من دعا إلى عصبية، وليس منّا من قاتل على عصبيّة، وليس منّا من مات على عصبيّة».**

ويفسّر النبيّ معنى العصبيّة حينما سُئل: «يا رسول الله، أمن العصبيّة أن يحب الرجل قومه»؟

فأجاب ﷺ:

«لا.. ولكن من العصبيّة أن ينصر الرجل قومه على الظلم».

فالتمييز هو الحرام، أمّا الحب القلبي المجرّد، فليس من العصبيّة!

وإذا كانت حضارة الحديد والإسمنت، تفرّق بين الأسود والأبيض وتجعل للأبيض فضلاً على الأسود، فإننا نجد أن الإسلام يأمر الناس باستلام «**الحجر الأسود**» في موسم الحج، ويعتبر هذا «الحجر»: «يمين الله في أرضه»، وهو أسود!

ونجد أيضاً أن مؤذّن النبيّ ﷺ في بداية تكوين المجتمع الإسلامي كان رجلاً زنجيّاً من الحبشة، وهو «بلال الحبشي»!

وإذا عرفنا أن الوظيفتين الرئيسيتين في مسجد المدينة، كانت «الإمامة» و«الأذان» وأن النبيّ ﷺ كان يقوم بالإمامة، وبلال بالأذان، فإننا نعرف أهميّة هذه الوظيفة من الناحية الإدارية، وقد أنيطت بالزنجي الغريب: بلال!

وقد حدث مرّة أن تغاضب «أبو ذرّ» وهو عربي من غفار، مع «بلال الحبشي»، وتطوّر النزاع بينهما، إلى أن أخذت أبا ذرّ الحدة، فقال لبلال:

«يا بن السوداء..».

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فغضب لذلك، وقال لأبي ذرّ:

«أتعيّره بأمّه؟ أجاهلية بعد الإسلام يا أبا ذرّ»؟

وندم أبو ذرّ.. ولكنّه لم يكتف بمجرّد الاعتذار إلى بلال الأسود، ولكنّه، مبالغة منه في التوبة والندم، وضع وجهه على التراب، وطلب من بلال أن يطأ وجهه برجله، وحلّفه على ذلك، حتى فعل!

وبلال هذا هو الذي أمره رسول الله ﷺ - يوم فتح مكّة - أن يصعد فوق الكعبة ليؤذّن من فوقها، ويعلن كلمة الحقّ، والكعبة هي الحرم المقدّس عند العرب في الجاهليّة، وهي القبلة المعظّمة في الإسلام، ومع ذلك يصعد عليها «عبد أسود غريب لا عشيرة له».

تلك هي حضارة «الكرامة الإنسانية» التي لا تمييز فيها بلون، أو بقبيلة، أو عشيرة!

ومثال آخر لعدم التمييز هذا، نجده عندما جاء المسلمون لتحرير مصر، وتوغّلوا فيها حتى وقفوا أمام حصن بابليون، فرغب «المقوقس» في المفاوضة مع المسلمين، فأرسل إليهم وفداً ليعلم ما يريدون، ثم طلب منهم أن يرسلوا إليه وفداً. فأرسل المسلمون عشرة أشخاص، وعلى رأسهم «عبادة بن الصامت»، وكان أسود اللون، طويلاً.

ولمّا دخلوا على المقوقس، تقدّمهم «عبادة بن الصامت»، فكره المقوقس منظره، ونادى: «نحوا عنّي هذا الأسود، وقدّموا غيره يكلّمني».

فقال له رجال الوفد جميعاً:

«إنّ هذا الأسود أفضلنا رأياً وعلماً، وهو سيّدنا وخيرنا، والمقدّم علينا، وإنما نرجع جميعاً إلى قوله ورأيه».

فقال لهم المقوقس: «وكيف رضيتم أن يكون هذا الأسود أفضلكم، وإنما ينبغي أن يكون هو دونكم»؟

فقالوا: «كلّا.. وإنه وإن كان أسوداً ـ كما ترى ـ فإنه من أفضلنا موضعاً، وأفضلنا سابقة، وعقلاً ورأياً، وليس ينكر السواد فينا»!.

ورفضوا أن يبدّلوا الرئيس من أجل لونه!.

وفي كربلاء، كان بين أصحاب الحسين عليه السلام عبد زنجي، وقد طلب منه الإمام أن لا يزج بنفسه في الحرب، وقال له: «إنّك إنما تبعتنا طلباً للعافية، فأنت في إذن منّي».

فقال: «أبا عبد الله، أنا في الرخاء ألحس قصاعكم، وفي الشدّة أخذلكم»؟

وأضاف: «لا والله، لا أفارقكم حتى يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم»!.

ثم قال:

«إنّ ريحي لنتن، وإنّ حسبي للئيم، وإنّ لوني لأسود، فتنفّس عليَّ بالجنّة، حتى يبيض لوني، ويشرف حسبي، ويطيب ريحي»..

وكان أن خاض الحرب، وسقط شهيداً على الأرض، فجاءه الحسين عليه السلام، وفعل معه كما فعل مع أكبر، وأجمل، وأعزّ إنسان عنده وهو ولده «عليّ الأكبر»، الذي كان أشبه

الناس خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً برسول الله ﷺ ـ كما يقول الإمام ـ فقد إنحنى الإمام عليه، وانحنى وانحنى حتى لامس خدّه بخدّه!.

تعارفوا.. وللصحبة حقوق

حضارتهم:

في لندن، كان هنالك شاب في ربيعه الحادي عشر، يغسل سيّارة أحد الموظّفين، فمرّ عليه صديق له وسأله: منذ متى يغسل لك هذا الفتى سيّارتك؟

قال صاحب السيّارة: منذ تسعة أشهر!.

ثم سأله: كم مرّة يغسل السيّارة في الأسبوع؟

فقال: خمس مرّات.

فسأله: ما إسمه؟

قال: لا أعرف!.

فسأله: ألم تسأله عن إسمه؟

قال: لا.. فأنا أعطيه «الأجرة»، وهو يقوم «بغسل» سيّارتي، ولا أرى ضرورياً أن أشغل فراغاً في ذاكرتي لحفظ إسمه!

الرجل لا يهمّه أن يعرف هذا الشاب، لأنه يتعامل معه على أساس تجاري، وليس هذا إلّا نموذجاً صغيراً، وإلّا فإنّ التعامل في ظلّ الحضارة المادّية، ليس مع الإنسان كروح وكأخلاق، بل كمادّة تدر الربح. إنّ التعامل هو مع «عضلات» الإنسان، وليس مع «قلبه وعقله»..

فالجار هناك لا يسأل عن جاره.. ولا يهمّه من أمره شيء..

وعابر الطريق لا يهمّه إذا ضربت سيّارة امرأة عجوزة، أن يساعدها، لأنه يقول: هنالك من يشتغل في هذه الأمور نيابة عن الدولة ويتقاضى الأجرة، فالمسؤولون عن المستشفيات والمصحّات هم المسؤولون عن مثل هذه الحوادث، لأنهم يتقاضون الرواتب من وراء ذلك..

أمّا أنا فلا.. إذن لا يهمّني ذلك!

حضارتنا:

يتعامل الإسلام مع الناس على أساس أن كل واحد منهم راعٍ، ومسؤول عن رعيّته..

ولنرى الصورة المتقابلة:

الإمام عليّ عليه السلام، الحاكم على خمسين دولة من الدول

الفعليّة، يمشي في الطريق بين البصرة والكوفة، فيرى رجلاً في الطريق، فيسأله عن وجهته، فيقول إنه يقصد البصرة، وفي المقابل يسأله الرجل عن وجهة الإمام عليه السلام، فيقول: الكوفة.. وبعد ذلك يسأله الإمام عليه السلام عن إسمه وعشيرته وعمله..

وكان الطريق مشتركاً.. وحينما وصلا إلى المفترق بين طريق البصرة، وطريق الكوفة إنحرف الرجل ـ وكان يهوديّاً ـ نحو طريق البصرة، ففوجئ بالإمام ينحرف معه في الطريق..

فقال له: «ألم تقل أنك تقصد الكوفة»؟.

قال الإمام عليه السلام: «بلى»!.

فقال: «لكن هذا طريق البصرة»؟

قال الإمام عليه السلام: «نعم، ولكن علّمنا نبيّنا أن نشيّع أصحابنا أربعين خطوة».

فقال الرجل: «وهل أصبحت صاحبك»؟.

قال الإمام عليه السلام: «نعم، أنت صاحبي في هذا الطريق».

ولمّا سأله الرجل: «من أنت»؟ وتبيّن له أنه الإمام عليّ عليه السلام، الحاكم على كلّ تلك المنطقة، قال:

«أشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله، واللهِ هذه أخلاق الأنبياء».

أوهام المخدّرات..
أم سعادة الاطمئنان إلى.. الله؟

حضارتهم:

في باريس ألقت طالبة في كلّية الطب (٢٢ سنة) بنفسها من نافذة شقّتها، بعدما فشلت في الحصول على جرعتها المعتادة من الهيروئين!.

وتكثر الأحداث المماثلة في كل مكان...

□ ففي أيار (مايو) شرح مدير البوليس الألماني للصحافيين كيف قام رجل إدعى بأنه من رجال الاستخبارات بتزوير سند إيصال، حصل بموجبه من خزائن البوليس على كميّة من الهيروئين قيمتها في سوق المخدّرات ما يتراوح بين عشرة ملايين وعشرين مليون دولار!.

وقال هذا المسؤول بمرارة: لقد أخذ رجل مّا... كميّة الهيروئين التي يبلغ وزنها ٣٣ كيلوغراماً من مكتب

المحفوظات، في أحد مراكز البوليس، ووضع مسحوقاً أبيض عادياً محل تلك الكميّة، ثم أعاد الأكياس إلى مكانها!

- أعرب أطباء ستوكهولم في كتيب ظهر مع أساتذة الطب في باريس عن إعتقادهم بأن سبب ادمان الأحداث هو بسبب إدمان الوالدين على المخدّرات!.

- إنّ إمبراطور تهريب المخدّرات في أوروبا هو بلا ريب المافيازي أوغست ريكاردو. موجود في الأوروغواي. مطالب من تسع دول بينها أمريكا. لكن حكومة الأورغواي ترفض تسليم الرجل إلى أية دولة من هذه الدول، مصرّة على إبقائه في سجنها المميز الخاص، مؤمنة له حرية التحرك والاستمرار في الإشراف على مصالحه الكثيرة وإدارتها، وكأنه حرّ طليق!.

- اكتشف رجال البوليس الفرنسي في جيوب سريّة في سيارة ريفييرا يملكها أحد النوّاب ١٤٦ كيلوغراماً من الهيروئين الخام، كما اكتشف فيها حقيبة تحتوي على ٣٥ كيلوغراماً من الأفيون!.

- في ألمانيا أجرى ثلاثة أطباء استطلاعاً بين طلّاب جامعة بون، لمعرفة مدى تفشّي تعاطي المخدرات بين الطلّاب. وقد تبيّن لهؤلاء الأطباء بأن من كل خمسة

طلّاب، فإن طالباً واحداً منهم يتعاطى أحد أنواع المخدّرات. ويأتي طلّاب كلّية الطبّ في المقدّمة، يليهم طلّاب اللّاهوت!.

- أعلن البوليس الفرنسي في يوم من الأيام أن نصف جرائم باريس سببها المخدّرات. ذلك أنّ المدمن يتحوّل إلى قاتل وسارق للحصول على مال لشراء حاجاته من المخدّرات!.

- أمّا في أمريكا فإن ٣٥ مليون أمريكي يتعاطون المخدّرات، من بينهم أبناء الرئيس الأمريكي الأسبق كارتر الثلاثة! كما أنه يموت شخص كل ست ساعات في أمريكا بتأثير الهيروئين وحده!.

- وفي إيطاليا أعلنت إحدى المؤسسات الإجتماعية أن الإدمان على تعاطي الخمور هو أخطر مرض اجتماعي يصيب المجتمع الإيطالي. وتشير التقارير إلى أن عدد مدمني الخمر وصل إلى أربعة ملايين شخص. وجزء كبير من المدمنين يفشل في محاولة الكف عن تعاطي الخمور.

إنّ إدمان تعاطي الخمور هو ثالث سبب رئيسي يؤدّي

إلى الوفاة في إيطاليا، بعد مرض السرطان، والأمراض القلبية.

وشكلت في إيطاليا جمعيات كثيرة من أجل محاربة تفشي الحشيش والماريجوانا، ويعتبر البعض هذه المخدّرات أقل خطورة من المشروبات الكحوليّة.

وصرح البروفسور كوستنتينو راياندولو: «صحيح أن الحشيش والماريجوانا أقل خطورة من المشروبات الروحية، لكن علينا أن نتذكّر أنّه في مقابل كلّ مدمن مخدّرات، يوجد ألف مدمن خمور».

أمّا الأجهزة الصحّية والقانونية فلا تبدي اهتماماً يذكر بمسألة تفشي تعاطي الخمور، فخصصت الحكومة الإيطالية مستشفيات خاصة لمعالجة مدمني المخدّرات، ولا يسمح إلّا في حالات نادرة فقط بمعالجة الذين يتعاطون المشروبات الكحولية بإدمان. وفي الوقت الذي ينص القانون على معاقبة أي شخص يتعاطى المخدّرات، فإنه لا يعاقب الشخص الذي يتعاطى الخمور. وتقدّر إحصائيات وزارة الشؤون الاجتماعية في إيطاليا بأن عدد مدمني الخمور يتجاوز الخمسة ملايين مدمن.

ويقول البروفسور «البرتو ماديبو» من معهد أبحاث

ميلانو أن الظاهرة الخطيرة هي تحول الإيطاليين الذين إعتادوا على تناول النبيذ فقط، وهو مشروب يحتوي في معظم الأحوال على نسبة قليلة من الكحول، إلى المشروبات الكحولية القوية مثل الويسكي والفودكا.

والظاهرة الجديدة أيضاً أن نسبة النساء اللواتي يتعاطين الخمر ازدادت بشكل مخيف، وهو أمر خطير نظراً للضرر الذي يسبّبه الإفراط في شرب الخمر على الأجنّة.

ما هي الأسباب؟

الأسباب التقليدية للإدمان على المخدّرات معروفة، وهي البحث عن الملذات، وتوفّر المخدّرات، والحشرية، والقلق، وارتفاع نسبة البطالة. ولكن خلف هذه الأسباب تكمن أسباب أخرى تتعلّق بطبيعة المجتمعات الأوروبية اليوم.

ويلخصها أحد الأطباء الفرنسيين بقوله: «عدد الأهل غير الجديرين بالاحترام يتزايد يوماً بعد يوم. الأبناء يرغبون بالابتعاد عنهم فيقعون في حبائل المشرّدين، وحملة الغيتار المتجوّلين»!.

ويقول طبيب فرنسي آخر: «نحن لا نعرف السعادة في مجتمعنا. المخدّرات هي وسيلة للحصول على السعادة الضائعة. وعندما نتعاطاها مرّة ندرك أن لا شيء في العالم يستطيع أن يمنحنا لذة مشابهة»!.

إلى جانب ذلك... هناك التساهل الذي يبديه المجتمع الأوروبي بشأن استخدام المخدّرات الخفيفة. ففي هولندا وفي مدن أوروبية أخرى لا تعتبر الماريجوانا ممنوعة. في مدريد فإن روائح الحشيشة تنبعث من أمكنة الرقص والموسيقى وعلب الليل دون رقابة.

وفي بعض غرف الاستقبال في روما كان يقدم الكوكائين كما تقدم القهوة.

ويروي أحد الأطباء الفرنسيين بأنه لم يحدث مرة أن دعي إلى لقاء مع مثقفين، أو نجوم سينما، أو صحافيين دون أن تقدم له الماريجوانا!.

والأهم من كل ذلك، أن أوروبا تعيش الفراغ الروحي، ولذلك فهي تحاول «التعويض» عن ذلك بالمخدّرات.

هناك لا مكان للعواطف ولا مكان للإنسانية، لا مكان

للرحمة والقلب العطوف. الحياة كلها تجارة، سواء بالنسبة لعلاقة الأوروبي مع العالم، أو علاقته مع نفسه، أو مع بني وطنه! ألم تسمع بالخلافات المستمرة الحادّة بين الآباء والأمّهات من جهة، وبين الآباء والأبناء من جهة أخرى! سرّ هذا الخلاف وجوهره وحقيقته هو النظرة المتباينة إلى مفهوم السعادة لدى الأجيال.

والآن تعال نقرأ الفيغارو!.

قالت الصحيفة الفرنسية إن الوضع في فرنسا ليس أشد سواداً من نيويورك. فما زالت إمكانية الإصلاح في فرنسا متوفّرة.

وأضافت الصحيفة، إن المخدّرات لم تعد محصورة في أماكن معيّنة مثل منطقة «بيغال» و«مونبرناس»! إذ بإمكانك الحصول على المخدّر في ملاعب المدارس، والستريوهات، والمشارب، والمقاهي!.

وتحذر الصحيفة الآباء والأمّهات من الصمت على ما يدور حولهم قائلة:

«كان جورج سباكمان مديراً للعلاقات العامّة في إحدى شركات التلفزيون وعندما توفّي نجله بيتر قبل سنوات لتعاطيه المخدّرات لم يعرف الرجل أن ابنه يتعاطى هذه السموم إلّا

بعدما أصبح مدمناً، وعند ذلك كان أوان إصلاحه وإنقاذه قد فات»!.

وتحدّث سباكمان عن إشارة الخطر التي عجز عن رؤيتها في الوقت المناسب وقال: «عندما تلاحظ أن ابنك يتعاطى المخدّرات، فعليك أن تدرك على الفور أن هذه السموم تكلف مالاً كثيراً. تيقّظْ على الفور وإنتبه إلى الأشياء التي بدأت تضيع من البيت دون أن تعرف سبب فقدها، وأدرك حالاً أن إبنك هو الذي يسرقها ويبيعها ليشتري المخدّرات بثمنها. إبحث أيضاً عن أشياء وحاجيات ابنك التي ادعى أنها فقدت منه. إن عشرات الإسطوانات التي كان ابني يحتفظ بها «فقدت»، ويومها ادعى أنه ضيّعها وأهدى البعض الآخر. لقد كنّا من الغفلة بحيث صدقناه!.

ومضى يقول: «وبعد ذلك بدأت ملابسه الغالية الثمن تفقد هي الأخرى، وتحلّ مكانها أثواب رخيصة، وكان يدعي أنه يستبدلها بأثواب وأزياء تتمشّى مع «الموضة»، ولكنه في الحقيقة كان يستبدلها بالمخدّرات».

«إنّ المدمن على المخدّرات لا يستطيع أن يشتغل ويكسب. ولذلك فهو مضطر للجوء إلى السرقة والخداع والتزوير، للحصول على المال اللازم للمخدرات بأي ثمن»!.

ومن جهة أخرى فحتى مفتش البوليس «ريغ غيل» الذي قام بدراسة إستمرّت أربع سنوات لمشكلة الـ مخدّرات، وكان من أبرع ضباط البوليس البريطاني في اكتشاف المدمنين والقبض عليهم إعترف بأنه «لم يلاحظ في الوقت المناسب أن إبنه يتعاطى المخدّرات».

وكانت زوجته هي التي لاحظت آثار وخز الأبر في ذراع إبنها البالغ من العمر ١٦ عاماً. وقد إعترف الفتى رون غيل أنه كان في الثالثة عشرة من عمره عندما بدأ يتناول الحشيش، ثم إنتقل إلى تناول الأفيون والهيروئين، ومختلف السموم الأخرى...

وقالت الفيغارو في تحقيقها عن المخدّرات في أوروبا: إن كل فتى، وكل طفل في فرنسا، يتعرّض اليوم لإغراء تعاطي المخدّرات.

حياة كلّها مصحات.. وضربات كهربائية... وحقن... وآلام!

❀

وماذا عن القلق، بعد المخدّرات، وحبوب السعادة؟.

لقد مات في أمريكا خلال الحرب العالمية الثانية

مليونان وخمسون ألف من القلق، بينما كان مجموع من قُتل من الأمريكيين في هذه الحرب ٣٠٠ ألف فقط!.

حضارتنا:

يقول القرآن الكريم:

﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[١].

ويقول:

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[٢].

إنّ «الروح» تحتاج إلى غذاء وماء وإشباع، إذ لها جوع، وعطش، ورغبة، وسعادة، تماماً كما للجسد.

وكما أن إشباع الروح لا يؤدّي إلى إشباع الجسد، فمطالعة كتاب شيّق لن يعوض عن الطعام والماء، كذلك فإن غذاء الجسد لن يشبع الروح..

والذين يكتفون بأحدهما دون الآخر ـ سواء بالروح دون الجسد، أم بالعكس ـ سيعيشون حالة «فراغ»، ومن ثم فهم يحاولون سد هذا الفراغ بأي ثمن؟.

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

إن المجتمعات الغربية اليوم، تعيش الجسد فقط، وتهتم بالجسد، وتشبع الجسد، ولذلك فإن خيرة أبنائها يهربون إلى الحشيش والمخدّرات، لإشباع الروح، كل ذلك بالإضافة إلى «التفكك العائلي» و«الإباحية» و«حالة الانفلات» التي يعيشها الإنسان هناك، كما سبق ذكره..

وطبيعي أن ذلك، أو أياً منها لا يوجد في الإسلام..

فالمجتمع الإسلامي الملتزم: مجتمع أسري (فلا يوجد فيه تفكّك عائلي). ومجتمع تعاون (فلا يوجد فيه بطالة). ومجتمع وسط (فلا يوجد فيه الاهتمام بالجسد دون الروح وبالعكس). ومجتمع محبّة وعواطف (فلا يوجد فيه فراغ عاطفي لدى الأفراد).

وهو لذلك يعيش «السعادة»..

ويعيش «الحبّ» الحقيقي..

فالسعادة هي الإنسجام مع الضمير، والحبّ لله وللحق، هو الطريق إلى ذلك.

إنّ الدين هو الذي يعيد الإنسان إلى النبع الذي صدر منه، إلى فطرته الأولية، ويأخذ بيد الإنسان ليرفعه إلى آفاق السماوات.

وليست عمليات الهروب إلى المخدّرات، والعشق الجنسي، والبحث عن حب جسدي، إلّا نوعاً من «سد» الفراغ، الذي لن يتم..

من هنا كانت حضارتنا سليمة، مطمئنة!

وكانت حضارتهم قلقة، ممزقة، خاوية!.

ولأجل أن المخدرات، هي حقن زائفة للسعادة، فقد حرّم الله، كل ما يُشلُّ العقل ويخدره، حتى الخمور. وجعل عقوبة إستخدامها عقوبة شديدة.. وإعتبر من يستعملها، ومن ينتجها، ومن يبيعها، ومن يحملها، ومن يحضر مجلس إستعمالها، شركاء في الجريمة..

يقول القرآن الكريم: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾[1].

ويقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾[2].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٩.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٩٠.

ويـــقـــول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾[1].

ويقول الحديث الشريف: «إجتنبوا الخمر، فإنها مفتاح كل الخبائث».

ويقول: «لا يدخل الجنّة مدمن الخمر»!.

ويقول: «لعن الله الخمر، وعاصرها، ومعتصرها، وبائعها، ومشتريها، وشاربها، وساقيها، وآكل ثمنها، وحاملها، والمحمولة إليه».

.. هل سمعتم في التاريخ الإسلامي أن مات أحد من الناس بسبب القلق؟

(١) سورة المائدة، الآية: ٩١.

عالم ينتفخ شبعاً
وعالم يموت جوعاً

حضارتهم:

هناك دول غنية، وهناك دول فقيرة.

هذا شيء مفهوم، ليس بمعنى النقص في كميّة العملات. بل الفقر في الحاجات الأساسيّة، حتى مع فائض الأموال.

فالبلاد الصناعية، هي دول غنية، سواء من حيث ما تملك من أموال، أو موارد طبيعية، أو صناعات مختلفة.

بينما الدول النامية ـ بما في ذلك دول البترول ـ هي دول فقيرة، سواء من حيث حاجتها إلى الدول الصناعية أو من حيث تخلّفها الصناعي، أو حتى من حيث الأموال التي تملكها. لأن فائض الأموال عند بعضها، ليس شيئاً باقياً.

فالبترول الذي هو رأسمالها سوف ينفد، وهي الآن تأكل من رأس المال، وليس من الربح، كما تفعل الدول الصناعية.

ولقد إجتمع الطرفان: الغني والفقير، حول موائد مفاوضات فيما عرف بمؤتمر الشمال الغني، والجنوب الفقير عدّة مرّات. وكان الغرض من ذلك الوصول إلى صيغة للتعاون بين الطرفين في إستمرار الدول الغنية في إستغلال موارد الدول الفقيرة، بشرط أن تساعد الدول الغنية الفقراء بما يرفع حاجتها.

وقد فشلت تلك المؤتمرات، بعد أن رفضت الدول الغنية أن تقدم المساعدات اللازمة للدول الفقيرة!.

وهذا الأمر «يمكن» تنظير فلسفة شبه معقولة له، بالنظر إلى الوضع المادّي الدولي..

ولكن غير المفهوم، وغير المعقول أن يكون هناك قرابة مليار جائع في الدنيا، بينما تعاني بعض الدول من فائض المواد الغذائية كالقمح مثلاً!.

لقد قرّروا قبل فترة في أمريكا أن يخضع برنامج ما يسمى بالمساعدات القمحية، للاعتبارات السياسية. وهذا

يعني أن تتم المساعدة الغذائية في مقابل.. الاستعمار!.

هل سمعتم بذلك الرجل الوقح الذي إستغل جوع أحد الرعاة وعطشه لمصادرة حريته، فاتفق مع «الحرّ» تحت ضغط تهديد الجوع بأن يصبح «عبداً له»، في مقابل حصوله على الطعام؟.

هذا ما يعنيه «إخضاع القمح للاعتبارات السياسية» أن دولاً كثيرة تحتاج إلى المواد الغذائية، والقمح بالذات، ولكن الدول القمحية، ترفض مساعدتها، إلّا ضمن اعتبارات سياسية، أو في مقابل المال.

وهي لكي تحافظ على أسعارها مرتفعة، تعمد إلى أقذر الأساليب، بلا خجل!.

إنّ المعادلة القائمة بين دول العالم الغنيّة لم يطرأ عليها أي تغيير ينبئ باحتمال حدوث تحسّن في وضع الدول الفقيرة. فهذه المعادلة التي تجعل الدول الصناعية في رأس الهرم السياسي والاقتصادي، تفعل في اتجاه فرز قرابة مليار شخص من شعوب العالم الثالث في حالة دائمة من سوء التغذية.

والصور المأساوية لهذه المعادلة القائمة، بين العالم

الصناعي والدول النامية، تبرز من خلال إنتاج القمح والاتجار به. فهذه المادّة الرئيسيّة للحياة هي، بالنسبة إلى الدول المتقدّمة المنتجة لها، مجرّد سلعة تخضع للقوانين الاقتصادية العامة، شأنها شأن بقيّة السلع المصنعة، والمنتجات المركّبة الأخرى.

إنّ الدول الرئيسية المصدرة للقمح تنظر إلى عملية إنتاجه وتسويقه، على أساس نظرية الدورات الإنتاجية المتلاحقة التي ترتكز بدورها على قانون العرض والطلب.

وإستناداً إلى هذه النظرية يمكن تفسير تخوف المراقبين الدوليين من حدوث مجاعة في العالم الثالث خلال السنوات المقبلة. فهذه النظرية تقول، إذا كان الإنتاج، في دورة إنتاجية معيّنة، قد فاق الكميّة المطلوبة للاستهلاك، فإن السعر ينخفض إلى درجة تهبط معه الأرباح المقدّرة نظرياً.

وهذا التدنّي في الأرباح سيؤثر على حجم الاستثمار في الدورة الإنتاجية اللاحقة، الأمر الذي سيجعل الإنتاج لتلك الدورة يتدنّى عمّا كان في الدورة الماضية، مما يلغي الهوة التي كانت نشأت في الدورة الأولى بين العرض

والطلب. ونتيجة لذلك فإن الأسعار سترتفع عمّا كانت عليه سابقاً بحسب أن يكون العرض قد لامس الطلب أو انخفض عنه. وهنا يجب لفت النظر إلى أن هذا العرض يبقى نظرياً بحتاً.

إنّ هذه النظرية هي عينها التي نلحظها في إنتاج القمح وتسويقه. فمثلاً في عام ١٩٧٦ كانت حاجة السوق العالمية من القمح تقدّر بقرابة ٣٩٩ مليون طن، بلغ إنتاجه نحو ٤١٢ مليون طن، مسجلاً زيادة على حاجة السوق الدولية مقدارها ١٣ مليون طن، أي ما نسبته ٨ ر١٦٪، الأمر الذي جعل سعر الطن يهبط من ١٥٠ دولاراً في بداية ١٩٧٦ إلى ٣٠ دولاراً في أواسط آب (أغسطس) في ذلك العام، أدنى سعر سجل لغاية الآن منذ مطلع السبعينيات.

وبتأثير ذلك إتجه المنتجون في الولايات المتحدة، خصوصاً، إلى استخدام الوسائل التقليدية للحفاظ على أسعار إنتاجهم. وهذا الهدف يتحقّق بالضرورة عبر إلغاء الفائض من إنتاجهم وإعادة العرض إلى مطابقة الطلب. من هنا كانت خطوتهم الأولى تنص على تخفيف إنتاجهم من القمح، ليلامس حجم الاستهلاك العالمي، مما يجعل سعر

الطن يصل إلى مبالغ كبيرة، ويسعون إلى فرضه على المستهلكين.

إضافة إلى ذلك، إتجهت الدول الرئيسية المصدّرة للقمح، حرصاً منها على تخفيف حدة التنافس في الأسعار في ما بينها، إلى خطوات مشتركة. فقد إجتمع ممثلو الدول الأربع الأهم إنتاجاً للقمح في العالم، إجتمعوا مرّات عديدة للاتفاق على سياسة مشتركة في مجال المحافظة على أسعار قمحهم. وقد تم التفاهم خلال تلك الاجتماعات على الخطوط العامّة لسياستهم القمحيّة المشتركة.

إنّ اللّافت من خلال النتائج المعلنة هو الاتجاه الذي بدأ المنتجون سلوكه، والذي يمكن حصره في النقطتين الآتيتين:

أولاً: حرص كبار المنتجين على الإستمرار في حجب قسم كبير من قمحهم عن السوق العالمية، عن طريق زيادة حجم مخزونهم من القمح، بعد أن قلّصوا مساحة الأراضي المخصصة لزراعة القمح، وهذا الموقف يفهم في ضوء رغبة هؤلاء في رفع أسعارهم وإهتمامهم بتخفيف العبء المالي الذي تتحمّله خزينتهم، من جراء تعويضهم خسارة المزارعين الناتجة من تدني أسعار سلعهم.

ثانياً: من خلال هذا النوع من الاجتماع يبدو أن الدول الأكثر إنتاجاً للقمح هي في طور إنشاء «كارتل» للقمح يلغي إلى حد معيّن التنافس فيما بينها، وبالتالي يضع يده على السوق الدولية للقمح، مما يؤمن له فرض شروطه على المستهلكين.

والولايات المتحدة ستكون الأكثر إفادة من هذا «الكارتل»، نظراً إلى كونها تسيطر على ثلاثة أرباع التجارة العالمية للقمح، عبر أربع شركات متعدّدة الجنسية من أصل خمس تحتكر التعامل بأكثر من ٨٠٪ من الإنتاج العالمي.

هذا وضع الدول الكبرى المنتجة والمصدّرة له، فماذا عن وضع الدول النامية المستوردة لهذا الإنتاج الضروري لحياة شعوبها؟.

لابدّ لنا في هذا الصدد من عرض جوهر الأزمة التي تعصف بأغلب دول العالم الثالث. فحسب تقديرات منظمة الأغذية والزراعة الدولية، التابعة للأمم المتحدة، يبلغ عجز الدول النامية عن تأمين ما يستلزمه استهلاكها من الحبوب أكثر من ٨٥ مليون طن سنويّاً، ولما كانت الدول المصدّرة

للقمح تسعى، إلى خفض إنتاجها من القمح فإن السؤال الذي يطرح هنا هو: أي مصير ينتظر شعوب العالم الثالث حيث إن أكثر من مليار إنسان في حالة دائمة من سوء التغذية؟

إنّ الدول الرئيسية المصدّرة للقمح، بفعل اتجاهها إلى خفض إنتاجها ورفع أسعارها، تحكم على الدول النامية التي لن تجد المال الضروري لشراء حاجاتها من القمح والحبوب، بمستقبل موحش وخطير للغاية، خاصّة أن ثُمن (٨/١) العالم يعاني من الجوع. وكما يقول «جورج يخت» المستشار العلمي السابق في حكومة ألمانيا في كتابه «أفكار على حافة الهاوية» فإن الجوع بات مسؤولاً عن عدد من الضحايا، أكثر من ضحايا الحرب العالمية الثانية!.

حضارتنا:

لقد إعتبر الإسلام، الإنسان مسؤولاً عن أخيه الإنسان بقطع النظر عن أي اعتبار. يقول الإمام عليّ عليه السلام: «الناس إمّا أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق»[1].

(١) نهج البلاغة، عهد الإمام علي إلى مالك الأشتر.

ويقول: «وإعلموا أنكم مسؤولون حتى عن بقاع الأرض وبهائمها»[1].

وجاء في القرآن: ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾[2]. من دون تحديد هوية السائل، أو هوية المحروم. فما دام هنالك «فائض» من الحاجة لدى طرف، و«نقص» لدى طرف آخر، فإن الطرف المحتاج شريك طبيعي في مال الطرف الآخر.

وجاء في القرآن أيضاً: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ٣٥﴾[3].

فالكلام هنا عن «التخزين» وعدم الإنفاق، وهو يشمل أي تخزين. فما دام هنالك فاصل طبقي، يخلق حالة انعدام التوازن، فإن التخزين هنا حرام، وينتهي إلى النار..

ولقد كان المسلمون يبحثون عن المحتاجين، لكي

---

(١) المصدر.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ١٩.

(٣) سورة التوبة، الآيتان: ٣٤ ـ ٣٥.

يدفعوا لهم، ليس فائض أموالهم ومنتوجاتهم فحسب، بل وليشاركوهم حتى في حاجاتهم الأولية: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[1].

من هنا لم يعرف التاريخ الإسلامي إستعماراً لشعب، ولا إستغلالاً لأمّة. وكلّما عرفه هو التحرير، والتنوير، ورفع الحاجة والعوز..

فالمسلمون كانوا يعتبرون أنفسهم «خدماً» للناس على أساس أن «سيّد القوم خادمهم»..

وأينما حلّوا كانوا يحملون معهم النور، والخير، والعطاء.. على أساس أن العطاء للآخرين وتحرير الناس من العبوديّة والجوع والعوز جزء أساسي من الدين، والامتناع عنه خروج عن الدين: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾[2].

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٩.

(٢) سورة الماعون، الآيات: ١ ـ ٧.

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾﴾[1].

﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾﴾[2].

وهكذا فإن فك الرقاب من العبوديّة، وإطعام الطعام، والإيمان، والتواصي بالصمود والرحمة، هي العقبة التي طلب من الإنسان إقتحامها، وتجاوزها.

ولقد تجاوز المسلمون هذه العقبة..

فلم يسمع في ظلهم أن مات أحد جوعاً..

وكانت أموال الزكوات، والحقوق الشرعية، تحمل إلى البلاد التي فيها الفقراء..

وكان «الناس شركاء في ثلاث» ـ كما يقول الرسول الأعظم ـ «في الماء والكلأ والنار».

هذا هو الإمام علي عليه السلام يمشي في أحد شوارع الكوفة، فإذا به يرى رجلاً يستجدي الناس، فقال:

---

(١) سورة البلد، الآيتان: ١١ ـ ١٢.

(٢) سورة البلد، الآيات: ١٣ ـ ١٧.

ما هذا؟

لم يقل الإمام عليه السلام: «من هذا؟»، فالسؤال لم يكن عن الشخص، بل عن هذه الظاهرة الغريبة.

وجاء الجواب:

«إنه نصراني»!.

فقال الإمام عليه السلام في تأثّر بالغ:

«إستعملتموه حتى إذا كبر وشاخ، تركتموه بتكفّف الناس»؟.

ثم عيّن له راتباً تقاعديّاً من بيت مال المسلمين!

هذا على المستوى الفردي..

ولم يكن المستوى الجماعي بأقل منه.. يقول القرآن الكريم:

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤﴾[1].

لقد أطعمهم الله ـ بتعاليم دينه القويم ـ من الجوع وآمنهم من الخوف، فلم يكن في البلاد من جائع، أو شريد

---

(١) سورة قريش، الآيتان: ٣ ـ ٤.

حينما كان النبيّ ﷺ، أو الإمام عليّ عليه السلام حاكماً على البلاد..

فلم يعرف حكم النبي ﷺ أو الإمام عليّ عليه السلام سجيناً سياسيّاً واحداً..

كما لم يعرف ميّتاً من سوء التغذية، أو الجوع!

حضارة الخوف والجريمة
أم حضارة السلام والمحبّة؟

حضارتهم:

١ ـ الولايات المتحدة: المال، والقوّة، والجريمة

البوليس الأمريكي يحذّر:

المرأة التي تسير بمفردها ليلاً في بعض شوارع لوس أنجلوس معرّضة للخطف أو الاغتصاب.. خاصّة إذا حاولت استخدام «الاوتوستوب» كوسيلة لتنقلاتها.

وبعد تكرار الحوادث في مدينة لوس أنجلوس أعلن أحد القضاة قائلاً: «لا يمكن للمرء أن يتخيّل الانحطاط الخلقي الذي وصل إليه المجتمع.. على الفتيات عدم القيام بالنزهة بمفردهن»..

وأضاف: «على الفتيات توقع إغتصابهن».

وبشكل عام، فإنه تقع في أمريكا كل ثانية جريمة وسرقة!.

وكل ٣٠ ثانية سرقة مسلّحة!.

وكل دقيقة إختطاف فتاة!.

وكل خمس دقائق سرقة سيّارة!.

وكل عشر دقائق حادثة قتل!.

وكلّ خمس ساعات مقتل طفل، أو طفلة بسبب الأبوين، أو بسبب إهمالهم.

مع العلم أن مقابل كل جريمة يبلغ عنها البوليس تبقى ثلاث جرائم على الأقل بدون تبليغ!.

وتنفق الحكومة كل عام مئات المليارات الدولارات لمكافحة الجريمة. ويوجد في السجون الاميركية أكثر من مليونين ومائتين وتسعة وتسعين ألف سجين بحسب وزارة العدل الأميركية، ومن هؤلاء ٥٤ ألف مجرم خطير! وللعلم فإنّ بعض الولايات الأميركية كولاية مشيغن تنفق على السجون أكثر مما تنفق على التعليم!.

والغريب أن الإجرام هناك ليس له عمر معيّن، فالجرائم التي يرتكبها كبار السن، والنساء، والصغار،

وحتى الأحداث هي كثيرة جداً. وقد ورد في دراسة صدرت عن جرائم الأحداث في أمريكا، معلومات مذهلة حقاً.

وإليكم مقتطفات من ذلك:

- في شيكاغو ألقي القبض على الشاب الصغير جوني الذي يبلغ من العمر ١٦ عاماً بسبب إطلاقه ست رصاصات على أحد السائقين، مما أودي بحياة السائق.

  وقد تبيّن أن لهذا الولد الصغير سجل حافل بالجرائم الصغيرة والكبيرة على حد سواء، وبعد إلقاء القبض عليه أطلق سراحه لعدم حضور الشاهد يوم المحاكمة..

- في نيو أورليانز تم إلقاء القبض على ستيفن الذي يبلغ من العمر ١٧ عاماً بتهمة اغتصاب وقتل ممرضة شابة،

  وقد سبق أن ألقي عليه القبض حين كان في الحادية عشرة بتهمة السرقة، فأحيل إلى مستشفى الأمراض العقلية بعد تشخيصه، لكنه هرب وارتكب ٢٢ جريمة مختلفة، آخرها القتل..

- في هيوستن اتهم لورنس «١٥ عاماً» بقتل أخويه، أحدهما تلقّى طعنتين في القلب، ومن ثم قطع لورنس

رأسه. والآخر، لم يعثر عليه حتى الآن. وطبقاً للتسهيلات الممنوحة للأحداث في قوانين تكساس، أطلق سراح لورنس حين بلغ الثامنة عشرة..

- في واشنطن قام أحد الصغار بسحب وقود سيّارة جارهم، وصبّه عليه وهو نائم، ثم أشعل الثقاب ورماه على الجار الذي أخذ يركض والنار تلتهمه، وعمر هذا الصغير ست سنوات..

هذه نماذج بسيطة من جرائم الأحداث في الولايات المتحدة. وقد بدأ ظهور نموذج من الجرائم سبّب الحيرة والخوف للجميع في كافة أنحاء الولايات المتحدة.

فالعديد من هؤلاء الصغار يقومون بالسرقة والاغتصاب والتشويه والقتل، مطبقين بذلك نماذج الجريمة التي يرونها على شاشات التلفزيون الأمريكي.

وكان آخر نموذج في مدينة أركنساس، حين قُتل أحد الأحداث وعمره ١٧ عاماً سيّدة عجوزاً بعد أن شاهد مسلسلاً تلفزيونياً لسافالاس «كوجاك»، ويبدو أن جيل الأحداث هذا لا يشعر بأي حرج إزاء ارتكاب أية جريمة بشعة.

إنّ نصف الذين يرتكبون الجرائم الفعلية في الولايات المتحدة هم من الأحداث، ومنذ عام ١٩٦٠ ارتفع عدد الجرائم العنيفة للضعف، وأصبحت تعادل جرائم البالغين.. والعديد من هؤلاء ضحايا للمجتمع، أو ضحايا التربية المنـزلية، وقد سبق لهم التعرّض لإساءات عديدة مثل هجران الأبوين، أو الاغتصاب، وفي غالبية الحالات يكون للأبوين أنفسهم سجل حافل بالجرائم، والادمان على شرب الخمر والتعامل بالمخدرات..

وفي العادة حين يتم إلقاء القبض على الحدث فإن المحاكم تعيده للشوارع مرّة أخرى. فإذا كان الحدث أقل من ١٦ عاماً، أو ثمانية عشر عاماً، فإنه يؤخذ إلى محكمة الأحداث، حيث يعامل على أساس أنه لا زال صغيراً. وحتى لو أنه قتل شخصاً مّا فإنه قد يسجن لعدّة أشهر ثم يطلق سراحه. فمثلاً اتّهم الحدث أدوارد الذي يبلغ ١٥ عاماً باغتصاب سيّدة تحت تهديد السلاح، وحين ألقى رجال الشرطة القبض عليه صرخ في وجههم قائلاً: «ماذا ستفعلون بي؟ أرسلوني إلى السجن قليلاً، فسأخرج بعد ذلك بساعات قليلة».

ونظراً لميوعة قانون الأحداث، فإن بعض الكبار بدأوا

باستغلال نقاط الضعف في القانون، فأخذوا يستخدمون الأحداث الصغار لترويج السلع الممنوعة كالمخدرات، ويحرضونهم على ارتكاب جرائم السرقة والقتل، ويبدو أن هؤلاء الأحداث يجدون متعة فائقة في أعمالهم تصل لدرجة السادية. ففي مانهاتن أرعب أحد الصغار المنطقة العليا الشرقية هناك، وهو يبحث عن الضحايا ليفقأ لهم عيونهم... وقام بمهاجمة سائق باص، وصحفي، واحد المارّة، وابن أحد السياسيين. ولم يدخل هذا الحدث السجن مطلقاً، لأنه أصغر من السن القانونية..

حتى الفتيات يتورّطن بأعمال العنف والجرائم. ففي الفترة ما بين ١٩٧٠ ـ ١٩٧٥ ارتفع عدد حالات إلقاء القبض على الفتيات اللواتي لم يتعدّين الثامنة عشرة، بتهمة ارتكاب جرائم حقيقية، إلى ٤٠ بالمائة بالمقارنة مع نسبة ٢٤ بالمائة من الذكور، وقبل فترة بسيطة إستطاع رجال شرطة شيكاغو من إلقاء القبض على عصابة من الفتيات تراوح معدل أعمارهن بين ١٤ ـ ١٧ عاماً بعد سلسلة من الاعتداء على المسنين من الرجال والنساء. وكان آخر عمل إجرامي لهن الاعتداء على رجل عجوز يبلغ ٦٨ عاماً..

وعادة ما يختار المجرمون الصغار ضحاياهم من الذين

لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم، مثل الأطفال الأصغر منهم، أو المسنين، أو المرضى، أو المكفوفين..

ويشير محللو ظاهرة الإجرام بين الأحداث إلى أن المسؤول الأول عنها هو الوضع الاجتماعي لهؤلاء الأحداث.. ففي الغالب لا يملك هؤلاء أموالاً تكفيهم للعيش، أو أن المعيل لهم يكون عاطلاً عن العمل، وهم يعيشون في الضواحي القذرة، ولا يتلقّون من العلم إلّا القليل، كما أن أفكار الأقليات والشعور بالاضطهاد تصبح فلسفة لهم. ولعلّ من الممكن توجيه اللوم إلى المدارس أيضاً لأنها لا توفّر لهم المهن المحترمة. ذلك أن بعض المدارس قد أصبحت هي الأخرى وكراً للجرائم المختلفة، فقد أشار تقرير اللجنة الفرعية لمجلس الشيوخ بأن عاماً واحداً قد شهد ٧٠ ألف حادث اعتداء على المدرّسين في مدارس الولايات المتحدة الأمريكية، ووصلت الخسائر في المدارس إلى أكثر من ٧٠٠ مليون دولار.. وفي إحدى جلسات المحاكمة التشريعية بولاية نيويورك شهد الطالب (فيلكس دافيلا) ويبلغ من العمر ١٦ عاماً بأنه امتنع عن الذهاب إلى المدرسة بسبب العصابات المدرسيّة، التي

ترعب الأساتذة، وتعمل على إجبار الطالبات على تناول المخدرات، واغتصابهن جنسيّاً بعد تناولها.

ومن الواضح بأن هنالك علاقة بين الفقر والجريمة، لكن هذه العلاقة غير ثابتة، وذلك لأن أغلبية أبناء الفقراء لا يرتكبون الجرائم، كما أن معظم المجرمين من الأحداث يملكون أموالاً أكثر من أموال الذين يسرقونهم. وكذلك فإن بعض هؤلاء المجرمين يكسبون الكثير من الأموال لأنهم يبيعون المواد المخدّرة، فهم ليسوا بحاجة للمال. ويبدو أن السبب الأول في ذلك هو الشعور بالمتعة التي يجدها بعضهم حين يوجه الأذى للآخرين.

فقد حدث مرّة في ولاية ميامي أن هاجم اثنان من الفتيان الصغار سيّدة وضربوها على رأسها بمؤخّرة المسدّس، وما إن أغمي عليها حتى بدأوا بركلها بأرجلهم، تماماً مثلما يحدث في الأفلام البوليسية.

ومثال آخر من واشنطن، حيث هوجم وزير سابق يبلغ من العمر مائة عام، إذ دخل عليه إثنان من الفتيان وطلبا ماء، وحين جلب لهما الماء، هاجماه، وأمسك أحدهما برقبته وحاول ذبحه بسكّين، ولحسن الحظ تم إسعافه بسرعة.

ويقول بعض الخبراء في علم الجرائم: بأن جرائم الأحداث جاءت نتيجة لتفكّك الأسرة، واندثار القيم العائلية والتربوية، والدينية.

وعلل القاضي (سيمهور جيلبرت) الذي يستمع إلى ألف قضيّة من الأحداث سنويّاً في (داد كاونتي) بأن سبب المشاكل كلّها هو تفكّك العائلة..

والسبب الرئيسي الآخر لزيادة جرائم الأحداث هو ما ذكرناه من أن قانون معاقبة الأحداث يتيح لهم المجال من خلال ثغراته المتعددة. فالحدث الذي يرتكب جرماً لا يتم حفظ ملف له ولا تؤخذ بصماته، كما أن الكثير من الأحداث يتعرّضون لأنواع مختلفة من العلاج، لكنهم لا يرتدعون أبداً. وقد وصف أحد المسؤولين في بوسطن حالة من حالات الإخفاق مع أحد الصغار وعمره ١٦ عاماً، فقال: «لقد أعطيناه كل شيء ـ التعليم المكثف، والعلاج مع الجماعة، والاستشارة، ومهمّة أخرى كالزراعة ـ واعتقدنا بأنه عاد إنساناً عادياً ففرّرنا أن نمنحه فرصة ١٢ ساعة، فأطلقنا سراحه، فاختفى، وبعد أن ألقي عليه القبض تبيّن أنه قام بالسطوة على أحد البنوك، وسرق سيّارتين».

وإذا كان يتعيّن توفير الحماية للمجتمع من هؤلاء

الأحداث، فمن الواجب إحترام نظام العقوبة، واحترام القانون. وقد تبيّن أن الشدّة في العقوبة تخفّف من حدة الجرائم، فبعد إصدار قوانين العقوبة الرادعة في ولاية نيو اورليانز، وسجن الأحداث الذين تتكرّر جرائمهم، تبيّن أن هناك انخفاضاً ملحوظاً في معدّل جرائم القتل التي يرتكبها هؤلاء من ٢٩ حادثاً في عام ١٩٧٣ إلى (٥) حوادث عام ١٩٧٥...

❁

إنّ أمريكا قد ولدت بالعنف، حيث قام المستعمرون بإبادة شعب آخر، هم «الهنود الحمر»، طبقاً لقانون الغاب الذي يقول: إن البقاء للأقوى، وعلى أساس تهميش شعب ثان، وهم الزنوج عبر قرون طويلة، وكانت حياتها الاقتصادية قد نشأت بلا قيود، حيث إن حظ الإنسان فيها كان يتحدّد بسرعة إطلاق مسدسه.

وإتخذت المنافسة التجارية والاقتصادية نفس الطبيعة. وكما تضخّمت المؤسسات هناك تضخّمت الجريمة، فظهر ما صار يسمى بالجريمة المنظمة. إبتداء من عصابات المافيا الشهيرة، إلى حلقات الإجرام التي تشترك فيها أحياناً أسماء كبيرة.

ثم إن هذا العنف إنتقل إلى ميدان السياسة بشكل مخيف. ففي حياة جيل واحد قُتل رئيس أمريكي هو جون كنيدي، وقُتل مرشّح للرئاسة هو روبرت كنيدي، وأصيب مرشّح آخر للرئاسة بالشلل بسبب إطلاق النار عليه هو جون ولاس، وقُتل زعيم حركة الزنوج وهو مارتن لوثر كنج، وأخرج رئيس جمهورية من البيت الأبيض، هو ريتشارد نيكسون، لأنه حاول التستّر على جريمة التجسّس على الحزب المنافس، ودخل السجن وزير العدل في عهده، لاشتراكه في نفس الجريمة، مع أبرز رجال الرئيس في البيت الأبيض.

هذا في الولايات المتحدة، ولكن ماذا عن باقي المناطق في «العالم المتحضّر»، أوروبا مثلاً؟

لقد صدر «لجاك ليوته» عن دار «دونويل» كتاب إسمه Notre Violenge أي «عنفنا»، والمؤلّف مدير مؤسسة «الموضوعات الجرمية»، وأستاذ الاقتصاد والعلوم الاجتماعية في جامعة باريس الثانية، وعضو اللجنة المكلفة بوضع مشروع القانون الجزائي الجديد، وعضو اللجنة المختصة بدراسة أسباب العنف والجريمة، التي كان يرأسها وزير العدل.

أي باختصار، هو أعرف من أي شخص آخر بقضايا الجريمة في فرنسا.

يقول «المؤلّف»: «إنّ الذين يعتقدون أن العنف ليس في هذه الدرجة من القوّة والإنتشار، يشبهون النعامة، ففي الوقت الذي يخفون رأسهم في الرمال، يتطاير الريش الباقي في ظهورهم مع هبوب رياح الرفض وعصف الانفجارات، فالسرقات المصحوبة بالعنف، ونهب الآثار الفنية، والضرب، والاغتصاب، والقتل، والاغتيالات، والحرائق المتعمّدة، تزداد وتنتشر خارج عالم الأشرار والمجرمين، والعنف موجود في العلاقات القائمة بين الناس الشرفاء، وقد أصبح عنفنا الخاص بنا. إنه يفسد الصلات القائمة بين المواطنين وبين الدولة. وصار كل مواطن يتجه إلى سن شريعة خاصّة به. والمنافسة الاقتصادية أصبحت شبيهة بالحرب. فالمؤسسات الكبيرة تلتهم المؤسسات الصغيرة، وأيديولوجية الأضخم جثّة، والأوسع غنى، والذي يحقّق الأرباح في سرعة أكبر، تقوّض الديمقراطية الليبرالية».

ويضيف:

«وتشير الإحصائيات العائدة إلى السنوات العشرين

الأخيرة، إلى تزايد كبير جداً في عدد الجرائم البشعة. وبقدر ما تجذب هذه الظاهرة إنتباهنا تبدو لنا قديمة. وبالفعل، فإن الجرائم التي ارتكبت في عهد «الجاكيري» في فرنسا وفي «حرب الفلّاحين» في ألمانيا تؤكد أن العصر الوسيط كان عصراً غير آمن على الإطلاق. كما أن الفظائع التي جرت في عهد الملك لويس الرابع عشر، والتي كشفت عنها التحقيقات في ما بعد، مخيفة بقدر ما كانت فظائع القرن الخامس عشر».

«ومع ذلك، فقد أصبحت جرائم هذا العصر أكثر وحشية وعنفاً وإخافة من تلك الجرائم، ففي حين كان عدد المساجين في سنة ١٩١٤ خمسة عشر ألفاً فقط، فقد ارتفع العدد إلى ثلاثة وستين ألفاً سنة ١٩٤٥».

ونجد أنه من سنة ١٩٦٣ وحتى سنة ١٩٧٥ ارتفع عدد الجرائم المتعمّدة من خمسمائة وواحد وثمانين ألفاً، إلى ما يقارب المليوني جريمة. وإذا أخذنا في الاعتبار مجموع عدد السكان الذي ازداد هو بدوره، نجد أن متوسط عدد الجرائم ارتفع من ١٣٠٠ إلى ٣٦٠٠ جريمة بالنسبة إلى كل مئة ألف من السكان. وهذه الزيادة طرأت على الجرائم البشعة، أكثر مما طرأت على الجرائم الانفعالية. أما السرقات غير

المصحوبة بالعنف فتكاد لا تحصى، والجميع يعرفون أو يسمعون بما يجري في «المترو» من أحداث السلب والنشل، دون أن يجني الضحايا من تقديم شكاويهم أي فائدة.

ويحذّر ليوتيه مواطنيه من أن يجدو بعض العزاء إذا هم قارنوا ما يجري في فرنسا، على صعيد الجريمة بما يجري في الولايات المتحدة الأمريكية. فهناك حيث يبلغ عدد السكان أربعة أضعاف عدد سكان فرنسا، تفوق نسبة عدد الجرائم أربعة أضعاف عددها في فرنسا. ففي حين تقع في فرنسا جريمة قتل واحدة كل ست ساعات، تسجل في الولايات المتحدة جريمة قتل كل ست وعشرين دقيقة. وإذا وقع إغتصاب في فرنسا مرّة كل خمس ساعات، فهناك يقع إغتصاب كل سبع عشرة دقيقة. وإذا سرقت سيارة في فرنسا كل دقيقتين وخمسين ثانية، تسرق في الولايات المتحدة سيّارة كل ٣٤ ثانية.

٢ ـ ألمانيا: الرخاء المغموس بالعنف

تقول الإحصاءات عن ألمانيا، وهي في قمّة مجدها الاقتصادي، والتكنولوجي:

أ ـ هنالك أكثر من ثلاثة ملايين جريمة، تقع في ألمانيا الغربية سنوياً!

ب ـ يعاني عشرون بالمائة من الألمان من مشاكل نفسيّة، وهم بحاجة إلى أطباء نفسيين، أي أن أكثر من ١٨ مليون نسمة يزورون المصحات العقلية والعيادات النفسيّة!

ج ـ كل شيء في ألمانيا قابل للسرقة، ويتعرّض لها، من الحذاء حتى البيت، والقطار، ومحطّة البنـزين. بل حتى الأسلحة تتعرّض للسرقة.

ففي عام واحد اختفى في ألمانيا الغربية ٢٥ صاروخاً مضاداً للدروع سرقت من مخازن السلاح الأمريكية، وفي كل عام تختفي آلاف من قطع السلاح المختلفة من مخازن الجيش الألماني، وتقول الإحصائيات إن بحوزة الشعب الألماني مئات الألوف من قطع السلاح، وهي مع ترخيص. إلّا أن مكتب مكافحة الجريمة يقدّر عدد قطع السلاح المتداولة بدون ترخيص بحوالي ١٥ مليون قطعة، أي ما يفوق ترسانة الجيش الألماني بأكمله..

د ـ تنهش الطبقية المجتمع الألماني بشكل حاد، ورغم أن

الإحصاءات تفيد بأن ألمانيا دولة غنية، لكن الإحصاءات تقول بأن ٢٥ بالمائة من الألمان يعيشون في حالة فقر، ويبلغ عدد العائلات ذات الدخل الذي لا يتعدّى ٥٠٠ مارك، أي شهرياً حوالي خمسة ملايين عائلة مقابل ١٢ ألف عائلة ثرية دخل الواحد منها أكثر من مليون مارك سنوياً..

يقول فيرنر روس المعلق السياسي بمجلّة (دويتش زايتونغ): «أن المجتمع الألماني يسير نحو البربرية وستكون العودة للذئاب»، وربما كان فيرنر يقصد بالذئاب هنا ما قرأه في كتاب لورينز عن أن الذئب لا ينهش لحم خصمه المنهزم، أما الإنسان فينهش. والبربرية الجديدة عند الرجل الألماني هي بعودة الجريمة، وزيادة نسبة وقوعها، وسقوط القيم.

٣ ـ إيطاليا: الإرهاب والاغتصاب والسرقة

على مدى خمس سنوات فقط وقع حوالي ٧٥٠٠ هجوم إرهابي، مزقت البلاد. وتركت أكثر من ٧٠ قتيلاً و٥٠٠ جريح.

ويبدو أن البوليس يخوض في هذا المجال أيضاً معركة خاسرة، فأكثر من ٦٠٠ رجل وامرأة هم في سجون إيطاليا مدانون بأعمال الشغب، لكن العنف ما زال يشتد ويقوى.

وهناك عصابات إرهابية تفجر السيارات والبيوت والمصانع، وتشعل الحرائق، وتسبّب خسائر تساوي ملايين الليرات.

وقد جندت القوى السياسية اليسارية واليمينية، رجالاً مسلّحين لحماية أنفسهم.

- **اغتصاب، وفتيات ملثّمات**

حوادث الإغتصابات تكاثرت بحجم مخيف في المدة الأخيرة. وقد جمدت الحركات النسائية، خاصّة حركة تحرّر المرأة، كل قواها لمحاربة هذه الحوادث.

وقد أخذت الفتاة المعتدى عليها تلتجئ إلى المحكمة شاكية للتعرّف على المغتصب. لكن في هذا الأمر خطورة كبيرة.

فإحدى الفتيات، اللواتي لم يتجاوزن الثامنة عشرة، تقدّمت بشكوى إلى المحكمة، فكان مصيرها: الاغتصاب مرّة ثانية، وذلك من أجل تلقينها، وتلقين غيرها من الفتيات درساً قاسياً يعلّمهن السكوت!

وفي إيطاليا اليوم، عصابات مسلّحة من النساء تهجم على البيوت، وتسرق، وتنهب، وتقتل، وتقوم بالكثير من الجرائم السياسية.

• **خطف...**

٥٠٠ شخص تبرّعوا بالمال لشراء حرّية الصبي البرتوفيوري، من عصابة لخطف الأطفال. فقد عمل موظّفو المصنع الذي يملكه والد البرتو شهراً مجاناً لمساعدة والده، في جمع قيمة الفدية التي قدّرت بـ ٢٣٠ ألف جنيه إسترليني، فأعيد البرتو البالغ من العمر ١٣ سنة إلى عائلته بعد ٤٦ يوماً من الحجز!

هذه القصة ليست إلّا حلقة في سلسلة جرائم تقوم بها مافيا متخصّصة في الخطف والابتزاز والتشهير، وقد إستطاعت هذه المافيا جمع ٥٠ مليون جنيه إسترليني خلال ٢٥٣ عملية خطف.

لا أحد يسلم، فالمجرمون يخطفون الأطفال والعجائز.

بعض المخطوفين وجدوا أمواتاً، وبعضهم الآخر ظلّ مجهول المكان، لا يعرف إن كان ميتاً أم حيّاً.

هذا التهديد المستمر بالخطف جعل الأغنياء يستعينون بحرّاس خصوصيّين، يقودون سيّارات مسلّحة لا يخترقها الرصاص، ويعيشون في بيوت تشبه الحصون. وفاض العمل على شركات التأمين ضد حالات القتل والخطف.

وفشل البوليس هنا أيضاً في القبض على الخاطفين والحد من هذه الموجة.

حتى المظاهرات هناك لها شكل آخر.

ففي أيام ٢٣ و٢٤ و٢٥ أيلول إجتمع عدّة ألوف في مدينة بولونيا الجميلة في إيطاليا، ونظّموا مظاهرة سمّوها «مؤتمر ضد القمع».

فكيف كانت؟

في وسط الشارع كانت امرأتان تقبلان بعضهما بعنف، وسط هتافات التأييد. فقد اشترك في التظاهرات تنظيمات سياسية تطالب بتشريع اللواط والسحاق سياسياً واجتماعياً. وكان رجل يتعرّى في الشارع، ويقوم بحركات غريبة..

في هذه التظاهرات كان قسم منهم يحمل الأسلحة.. بعضهم يؤمن بالكفاح المسلّح، وكلّهم يرفضون القوى

اليسارية التقليدية، ويريدون إعطاء أجوبة حسبة على كل حاجات الفرد الشخصيّة، وهم يقولون: «الإنسان مجموعة حاجات» وهم يريدون اعتبار اللواط أو السحاق عملاً طبيعياً، وحاجة بيولوجية..

ومن أهدافهم تفجير تناقضات النظام الرأسمالي، أي إتلاف مكاتبه وإحراق مصالحه.. وكان بينهم من يؤيّد نسف المعامل والمؤسسات الدينية واغتيال الصحفيين.. وبينهم فئة تؤيّد وضع القنابل الناسفة، وهم مشبوهون حالياً.. وأفرادها حدّدوا بأنهم مناضلون حقيقيّون يائسون حياتياً. ويبقى الاستقلاليون أكثرهم إتزاناً. فهم يؤيّدون استقلال الأحزاب والنقابات.. ويطرحون صراعاً اقتصادياً أولاً! ومن ثم يطرحون صراعاً سياسياً. وهم هجوميون انتحاريون، لا يخافون الصدام لا مع البوليس، ولا مع عناصر المخابرات ولا مع أفراد الأحزاب.

وتحل الأزمة لصالح الرأسماليين..

وتشرح ناطقة بلسان التجمع النسائي الذي يؤيّد السحاق: «لقد ولدت أيديولوجية جديدة هذا النهار. نظرية الحاجات. الثورة ليست استراتيجية صبورة، أو ثقافة جديدة. الثقافة هي رفض الواقع كما هو. بالنسبة للكثيرين

صارت الثورة تحقيقاً مادياً للحاجات الشخصية.. وفي طليعتها الجنس».

٤ ـ بريطانيا: عودة الجريمة إلى موطنها الأول

بالإضافة إلى العنف السياسي الذي يلف بريطانيا بين حين وآخر، فإن العنف الاجتماعي، وحالة انعدام الأمن، والتمييز العنصري بسبب اللون، واللغة، والجنس، وما شابه ذلك ينتشر في بريطانيا ويسلب الناس راحتهم أيضاً..

٥ ـ الأرجنتين: جرائم كبيرة

وطبعاً لا تقتصر الجرائم على الدول الكبرى، ذات «الحضارة المتقدّمة»، فكل بلد «مسّته» هذه الحضارة، أصيب «بجنون» الجريمة. فمثلاً «الأرجنتين» إنها تعيش ـ بسبب المسحة الغربية الطاغية عليها ـ الجريمة في كل مكان حتى أصبح القتل، وأعمال العنف، من الأمور العادية فيها لدرجة أن معظم الناس لم يعودوا يهتمّون كثيراً بأنباء القتل والخطف والاختفاء في ظروف غامضة. ووصف بعض المراقبين مشاعر السكان بأنها أصيبت بنوع من فقدان الإحساس.

ويضيف المراقبون أن الأرجنتينيين يتحدّثون عن هذه الجرائم تماماً كما يتحدّثون عن نتائج مباراة كرة القدم أو الغولف. وتشير الإحصاءات الرسمية إلى أنه خلال ستّة شهور بلغ عدد الأشخاص الذين قتلوا في الأرجنتين ٥٧١ شخصاً، من بينهم عدد من رجال الأمن والثّوار اليساريين.

إلّا أن تقارير لجنة حقوق الإنسان تشير إلى أن عدد القتلى بلغ أكثر من ألف شخص خلال الستة الأشهر تلك.

وفي الماضي كانت الصحف تنشر نبأ وفاة ضابط في الجيش في صفحاتها الأولى وبعنوان كبير، واليوم ينشر في الصفحات الداخلية ولا يتعدّى بضعة أسطر.

ولوحظ أن تجارة التوابيت أصبحت تجارة رابحة تدرُّ على أصحابها، ومعظمهم من النجارين، مبالغ ضخمة.

ويعمد القتلة إلى إلقاء ضحاياهم، إما في الأنهر، أو في خنادق، أو داخل سيارات قديمة، أو حتى داخل سيارات يوقفها أصحابها إلى جانب الرصيف. ويقوم ذوو المفقودين يومياً بإبلاغ دوائر الشرطة عن مفقوديهم، أو نشر أنباء اختطافهم في الصحف، على أمل أن تعثر الشرطة عليهم.

وتقول السيّدة جولييتا دي ليدير أنها نشرت نبأ خطف زوجها موريشيو وعمّها البالغ ٧٠ عاماً من العمر، وعندما سئلت لماذا نشرت النبأ في الصحف، أجابت:

«عندما أبلغت دائرة الشرطة أجابني الضابط: عرفنا بالحادث، ولكننا لا نعرف أين يوجد المخطوفان. إن عشرات مثلهما قد خطفوا»..

وعملية الخطف هي أسهل أعمال العنف، وتتم أحياناً في وضح النهار.

والدافع لعمليات الخطف هو الطمع بالفدية التي تصل أحياناً إلى ملايين الدولارات، خاصّة إذا كان المخطوف شخصيّة لها شأنها، كمدير مصرف، أو نجل رجل أعمال، أو أحد الأثرياء.

وفي أحد مطاعم العاصمة كان رجل أعمال يتناول قطعة من البفتيك مع صديق أجنبي له، وكان الحديث بينهما عن الخطف والقتل، وتقاعس السلطات الأمنية عن لجم هذه الموجات الإجرامية. وكان يجلس إلى مائدة بالقرب من مائدتهما شخص تبدو عليه سيماء أرستقراطية، وكان يستمع إلى حديثهما باهتمام، مما أثار دهشة رجل الأعمال الذي سأله إذا كان أجنبياً، فأجابه:

«أنا ممثّل عدّة شركات عالمية، وقد حضرت إلى بوينوس آيريس منذ يومين فقط لعقد عدة صفقات. وقد نجحت في عقد صفقتين بمبلغ ٨٠٠ ألف دولار. (وأخرج من حقيبته مستندات عن الصفقتين).

وبدأ الاهتمام على وجه رجل الأعمال بوضوح، فعرض عليه أن ينتقل إلى مائدته ليبحث معه عقد صفقة ثالثة. ورحّب الارستقراطي، وشاركهما في تناول كأس من الويسكي.

ثم دعاهما الارستقراطي لمرافقته إلى جناحه في الفندق، فاعتذر الرجل الأجنبي، وغادر رجل الأعمال والارستقراطي المطعم إلى سيارة فخمة يقودها سائق، وانطلقت السيارة بسرعة، واختفى رجل الأعمال إلى الأبد!.

هذه قصة من عشرات القصص التي تحدث في الأرجنتين.

ويقول جيمس نيلسون المعلق في صحيفة «بوينوس آيريس هيرالد» التي تصدر بالإنكليزية في العاصمة الأرجنتينية:

«إنّ الشعب هو المسؤول، إنه واقع تحت تأثير مخدّر البلاهة، وفقدان الشعور».

ويضرب مثلاً:

«في شهر تموز قُتل في ألمانيا جيرغن بونتو مدير أحد المصارف. فسار جميع موظّفي المصارف في تلك الدولة في مظاهرة صاخبة استنكاراً للجريمة. وشنت سلطات الأمن حملات مطاردة لكشف القتلة اشترك فيها ٨٠ ألف شرطي ورجل أمن، وكانت السلطات تذيع كل ساعة بياناً بالإذاعة والتلفزيون عن سير عملية المطاردة، لإبلاغ الشعب بذلك. وكانت السلطات واثقة من أن هذه الحملة ستؤدّي إلى مساعدة الشعب في كشف الجناة».

ويضيف المعلّق:

«لو أن بونتو قُتل في بوينوس آيريس لاكتفت صحفنا بنشر النبأ في الصفحات الداخلية وببضعة أسطر. وما دام كل أرجنتيني لا يشعر بأن أية جريمة ترتكب مهما كان نوعها هي جريمة موجهة ضده، وليست مجرّد حدث عابر، وإن من واجبه أن يعبئ نفسه لوضع حدّ لها بشتّى الوسائل.. فإن الجرائم ستستمر، وإن الشعب هو الملوم».

تلك هي حضارتهم:

جرائم، وعنف، ومؤامرات.

أليس كل ذلك دليلاً على وجود أزمة حضارية، وإن الأساس يعاني من الخراب؟

حضارتنا:

عندما يتحدّث الله عن عبادته يقول:

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤﴾[1].

حيث يجعل تأمين الغذاء، وإستتباب الأمن، من صميم الواجبات الدينية، وموجباً من موجبات العبادة!

ويرسم الإسلام الأساليب التي تساعد على تماسك المجتمع ضد الجريمة، حيث يبدأ ببناء الإنسان المؤمن الذي يسلم الناس من يده ولسانه.

يقول النبيّ ﷺ: «**المسلم من سلم الناس من يده ولسانه**».

ويعتبر شرّ الناس من خافه الناس لبذاءة لسانه، فيقول ﷺ: «**شرّ الناس من أكرمه الناس إتقاء لسانه**».

---

(١) سورة قريش، الآيتان: ٣ ـ ٤.

وقد رسم النبيّ ﷺ بسلوكه وتوجيهه الأساليب التي تساعد على أمن المجتمع وتماسكه، واحترام الإنسان، صغيراً، وكبيراً، رجلاً، وامرأة، أبيض، أو أسود. وكلها تنبع من محبّة الإنسان.

يقول ﷺ: «**المسلم على المسلم حرام دمُهُ، ومالُهُ، وعرضُهُ**».

ويدعو إلى إفشاء السلام والأمن والطمأنينة في المجتمع، ويقول: «أفشوا السلام»، والسلام بالطبع ليست كلمة تقال، بل رغبة حقيقيّة في أن تقوم بين الناس علاقات المحبّة، والأمن، والتعاون.

ولقد حقّق الإسلام الأمن للناس، حتى لم تعد للبيوت أبواب، ولا للمحلّات، والدكاكين أبواب، فكانت البيوت تترك بلا أي حاجز. إذ المسلم لن يغتاب صاحبه بكلمة جارحة، فهل يمكن أن يسرق من ماله؟

ولم يعرف المسلمون، إنّ سجن شخص واحد بتهمة مخالفة الإسلام، فلا مسجون سياسي في الإسلام[1].

---

(١) بالطبع فإنّ المقصود هنا الإسلام الحقيقي، وليس الإسلام الذي انتحله الخلفاء من بني أميّة والعبّاس وأمثالهم. ذلك كان جاهلية مغلفة بالإسلام، وبذلك كانت السجون ممتلئة بأهل البيت وأتباعهم.

ويلخص أحد المسلمين الأوّلين، حالة الأمن التي أشيعت في عهد الإسلام بقوله:

«إنّ المرأة كانت لتضع على رأسها الذهب والفضّة، وتمشي بين البصرة والشام، فلا يلتفت إليها أحد».

رغم أن إغراء الأنوثة، وإغراء المال، وإغراء الوحدة والتخلّص من يد العدالة، كانت كلّها متوفّرة. ولكن «لا يلتفت إليها أحد».

الإباحية الجنسية وانهيار الأسرة

حضارتهم:

تعصف الحرية الجنسية بالمجتمعات الغربية فتدفع بها إلى حالة من التفكك الأسرى وما يستتبع ذلك من التآكل وربما الانهيار الاجتماعي.

والمتبع لإخبار البلاد الغربية يصاب بالذهول من كثرة الفضائح الجنسية التي تطال حتى كبار المسؤولين فيها.

ويكاد لا يمرّ يوم تقريباً إلاَّ وتقرأ على صفحات الجرائد، أخبار هذه الفضائح الجنسية سواء لكبار الساسة، وقادة الدولة، أو الممثلين وكبار الصحفيين، أو حتى رجال الدين المسيحي.

ففي أثناء فترة حكم الرئيس السابق بيل كلينتون لم يكن يمضي شهر حتى تنفجر فضيحة جنسية له تتحدث عنها

الصحف والمجلات ووسائل الصحافة الأخرى، وتصبح مادة إعلامية رسمية، يتم الحديث عنها صباح مساء. فمثلاً نشرت صحيفة لوس أنجلس تايمز على صدر صفحاتها، وبأسلوب علني وفاضح، قصة علاقة الرئيس مع بولا جونز التي أفضت بتفاصيل العلاقة المشينة التي ربطتها مع الرئيس، بما فيها تفاصيل عن العلامات الفارقة لدى أعضاء الرئيس التناسيلية!!

يقول أحد العلماء المسلمين:

تمت دعوتي إلى جانب عدد من رجال الدين إلى البيت الأبيض في سبتمبر ١٩٩٩ للقاء الرئيس كلينتون ـ وكان قد مضى عام على فضيحته مع المتدربة مونيكا لوينسكي ـ فتحدث الرئيس عن معاناته النفسية بعد الفضيحة، وتحدث عن دروس في الدين والروحانية بدأ يأخذها على يد رجال دين، لتعينه على التخلص من انحرافه الجنسي، وكان بعض هؤلاء بين الحضور، فشكرهم على مساعيهم تلك!

ولقد ذكرت جريدة نيويورك تايمز بتاريخ ١٢/أبريل/ ٢٠٠٨م ما يكشف عن عمق الانحطاط الأخلاقي الذي

وصلت إليه بعض الأسر الأميركية، وانعدام الوازع الأخلاقي فيها:

فهناك امرأة اسمها ريبيكا ديكنسون [Rebecca Dickinson] تعمل ضابطة في البحرية الأميركية لها من العمر ٣٨ عاماً، وحصلت على العديد من الأوسمة والميداليات، وقامت بتدريس مادة (القيادة) في الأكاديمية البحرية في آنا بوليس بولاية ميريلاند، ونالت إعجاب الكثيرين من أدميرالات البحرية الأميركية، لأداءها المتميز.

لقد انكشف أنها وبسبب حبّها للمال (هي تتقاضى راتباً يزيد على ٧٧ ألف دولاراً سنوياً، وكذا بسبب خلافاتها الزوجية، قررت أن تنضم إلى شبكة دعارة تديرها امرأة أميركية غامضة، تدعى مدام دي. سي (دي. سي هي مدينة واشنطن العاصمة، وتحولت هذه الضابطة المرموقة إلى عاهرة تتقاضى أجراً يصل إلى ١٤٠ دولاراً عن كل ممارسة جنسية. فهي ضابطة من الرتب العليا في العلن. ومومس تتقاضى أجراً على كل مرة تمارس فيها البغاء في السر.

والغريب أن زبائن شبكة البغاء، هذه كما ذكرت

الصحيفة، لم يكونوا أشخاصاً عاديين، بل كانوا مسؤولين كباراً في الدولة، وكان من بينهم السناتور الجمهوري ديفيد فيتر، ورانـدال توبياس مساعد وزيرة الخارجية، وهارلن أولمان المخطط العسكري الاستراتيجي في البنتاغون وصاحب نظرية «الصدمة والرعب» [Shock and Awe] في حرب العراق. وهذه الضابطة ـ المومس قدمت للمحاكمة في إحدى المحاكم العسكرية الأميركية التي قررت عزلها عن وظيفتها في البحرية الأميركية، لكن عدم سجنها إن هي وافقت على تقديم تفاصيل عملها كمومس!

هذا غيض من فيض من حال الانحدار الأخلاقي الذي يشهده المجتمع الغربي، والشواهد على ذلك كثيرة نعرض عنها لغرض الاختصار!

ونتيجة هذه الإباحية الجنسية تعرضت «الأسرة» للانهيار، بحيث أن نسبة الطلاق وتفكك الأسر آخذة في النمو الرهيب، إذ أنَّ بعض الإحصاءات تشير إلى أن نسبة الطلاق عموماً في الولايات المتحدة تصل إلى خمسين في المئة.

ولا شك أنَّ من أهم عوامل تفكك المجتمعات هو

تفكك الأسرة، وهو أمر مشهود بكل وضوح في الغرب. وخاصة في الولايات المتحدة.

وتشير الإحصائيات إلى أن ثلث الأسر الأمريكية آحادية الأب [Single Parent] آي أنها تعيش مع أحد الأبوين.

حضارتنا:

من أهم ما يميز المجتمعات الإسلامية سلامتها من الفسق والفجور، وفي التاريخ لا نجد لهذه المجتمعات انحلالاً خلقياً على مستوى المجتمع في أي بلد من بلاد المسلمين.

صحيح أنه كانت هناك حالات فردية من الانحلال الخلقي، ولكنها لم ترق أبداً إلى حالة عامة. ولذلك فإنها لم تعاني من التفكك الأسري.

وبقيت الأسرة قلعة حصينة لم تتعرض للإنواء، وبقى للأبوين احترامهما الكبير كما أمر الله تعالى: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا

كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ
ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾[1].

❁

تلك صور متقابلة عن حضارتين متقابلتين، فأيهما أولى بالاتباع؟ وأيهما يكتل له النجاح؟

---

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٣ و٢٤.

المحتويات

هذا العصر هو عصر إلغاء الإنسان.. ٧

الجريمة والعنف في كل مكان و٤٠٠ عام لم يعرف المسلمون جريمة سرقة! ١٣

حضارتهم.. ١٤

الحادثة ١٤

الشرطة واللصوص ١٦

الشمس أظهرت الحقيقة ١٧

النتائج ١٨

حضارتنا ١٩

العنصرية مشكلة العصر ويمين الله في أرضه: سوداء ٢٧

حضارتهم ٢٧

جنوب أفريقيا ٢٧

روديسيا ٣٣

أمريكا.. تظلم الزنوج أيضاً ٣٤
بريطانيا ٣٨
حضارتنا ٤٠
تعارفوا.. وللصحبة حقوق ٤٩
حضارتهم ٤٩
حضارتنا ٥٠
أوهام المخدّرات.. أم سعادة الاطمئنان إلى.. الله؟ ٥٣
حضارتهم ٥٣
ما هي الأسباب؟ ٥٧
حضارتنا ٦٢
عالم يتنفخ شبعاً وعالم يموت جوعاً ٦٧
حضارتهم ٦٧
حضارتنا ٧٤
حضارة الخوف والجريمة أم حضارة السلام والمحبّة؟ ٨١
حضارتهم ٨١

حضارتنا ١٠٦
الإباحية الجنسية وانهيار الأسرة ١٠٩
حضارتهم ١٠٩
حضارتنا ١١٣
المحتويات ١١٥

صور متقابلة
عن
حضارتين متقابلتين

كم نحن اليوم بحاجة إلى من يحمينا من العلم؟.

أجدادنا أرادوا أن يحتموا بالعلم تخلّصاً من الجهل. كانوا يقولون: كيف يموت البعض من الناس جوعاً، بينما تقدّس البقرة مثلاً؟

ولكن أي فرق بين أن يموت الناس من الجوع ليطعموا البقر المقدّس، وبين أن يُحرموا من سدّ حاجاتهم إلى الماء مثلاً بسبب أن البعض يريد الوصول إلى القمر؟ ألسنا اليوم بحاجة إلى من يحمينا من.. العلم..

ولكن ما هو السلاح؟

ليس في الكون كلّه سلاح يمكن أن يقهر وحش العلم ـ حامي حمى الطغيان ـ أمضى من سلاح الضمير، وسلاح الإيمان..

أي قهر يمتلكك عندما ترى أن الإنسان ربح العالم، ولكنّه خسر نفسه؟

قد تقول:

ـ لا.. لا.. ليست الصورة قاتمة بهذا الشكل!.

وأنا، لن أدعوك إلى أكثر من تصفّح الجرائد، والمجلاّت، ومطالعة ما يجري على الشاشة الصغيرة في فترات الأخبار..

هل ترى أي حضور للإنسان؟

رحمه الله!.

RS 001-600

9 786144 261163

دار المحجة البيضاء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت ـ لبنان

الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال
ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ ـ هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ ـ ٠١/٥٤١٢١١
تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ ـ E-mail: almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com